رواية

عثمان عابد

طائِفة الشعيبة

(للمحقق أديم)

ضياء
t.me/twinkling4

طائفة الشعيبة

(للمحقق أديم)

ح مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٥ هـ

عابد، عثمان

طائفة الشعيبة. / عثمان عابد - ط ١ - الدمام، ١٤٤٥ هـ

١٨١ ص؛ ١٤سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٩٦١٨

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٣٧-٣٦-٠

مجهّز هذه النسخة: أشرف غالب

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني:

Www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

services_book@outlook.sa

مسؤول النشر:

للتواصل

0597777444

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي

00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي **00971569767989**

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي **00201120102172**

الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر.

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر.

طائفة الشعيبة

(للمحقق أديم)

عثمان عابد

romiantoma
romiantoma
othmanauthor

١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ mohamed ▪

▪ علي ▪

▪ قمر ▪

▪ بيان ▪

▪ نرجس▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪

t.me/twinkling4

هذا الكتاب إهداءٌ لتلك الأرواح التي فدَت دينها

ثم وطنها، ولم تتردد في تقديم التضحية له...

ولن تتراجع أبدًا لو عاد بها الزمن للوراء.

(باتايا)، (تايلند)

رمضان، ١٤٣٣هـ

جهنم الحمراء

أستغفرك يا الله في شهرك الفضيل، أنت أعلم بنيتي وسبب قيامي بهذا. إلهي لا تؤاخذني فغايتي أعظم وأنبل، وما أنا على وشك فعله لم أقدم عليه في حياتي أبدًا! لا أعتقد أنى سأتمكن من النظر في المرآة بعد ما سأقوم به... لكني مضطر والله يا رب.

أطلقتُ تنهيدةً عميقةً وعيناي تتفحصان الشارع الذي وقفتُ على ناصيته أحد شوارع جهنم التي امتلأ بها هذا البلد اللعين! الإضاءات البنفسجية القادمة من المراقص والحانات أنارت الشارع بتلك الساعة من الليل وترامى أمام كل مرقص وحانة مجموعة من الفتيات بلباسهن الخليع لاقتناص الزبائن وإغرائهم للدخول للحانة... بشتى الأنواع والأشكال والأحجام!

DOLLS
GIRLS
bar
HOTEL
TATTOO
ขายยา

خطوتُ أولى خطواتي مُتظاهرًا بالسعادة والنشوة كبقية الرجال الذين ضج بهم الشارع، وقلبي ينغزني مع كل فتاةٍ أتبسم لها وكل فتاةٍ تتحرش بي جسديًا ولفظيًا... شاعِرًا بالخيانة العظمى لديني وزوجتي .... ماذا دهاني؟! (أسرار) لم تعُد زوجتي، لِمَ أشعر أن قيامي بهذا الفعل خيانة لها؟! أعتقد أن هذا هو الحال المنفصلين، يعتقد الجميع أن الطلاق يقطع الاتصال بالزوجة كليًّا... لكنه مجرد بداية للمعركة بين قلبك وعقلك... قلبك الذي سيذكرك بها في كل لحظة... وعقلك الذي سينهرك ويذكرك أنها لم تعد لك.

نجحتْ إحدى الفتيات بسحبي لأحد المراقص من يدي، بمفاتنها البارزة ومساحيق التجميل التي كونت طبقةً جديدةً على وجهها... وعطرها الرخيص الذي حمل رائحةً واحدةً فقط.... (الزهري[1]). تظاهرتُ بالمتعة والنشوة وهي تقودني للمرقص الذي ضج بالموسيقى الصاخبة، واستقرت بوسطه قضبان الحديد التي رقص حولها الفتيات بزيهن الموحد الفاضح... وقلبي يرفضُ تمامًا ما أقومُ به.... قبل أن أتذكر شيئًا مهمًّا أنزل على قلبي السكينة. كل هذا لأجلك (مسعود).

---

[1] - الزهري: (بالإنجليزية: Syphilis) ويسمى أيضاً بالسفلس وداء الأفرنجي أو الإفرنجي، هو مرض من الأمراض المنقولة جنسيًّا التي تسببها الجرثومة الملتوية اللولبية الشاحبة (Treponema pallidum) من سلالة البكتيريا الشاحبة. طريق انتقال مرض الزهري هو دائما تقريبًا عن طريق الاتصال الجنسي، وإن كانت هناك أمثلة من الزهري الخلقي عن طريق انتقال العدوى من الأم إلى الجنين داخل الرحم، أو عن طريق انتقال العدوى عند عبور الطفل في قناة الولادة أثناء عملية الولادة، كما يحصل أيضًا في فيروس نقص المناعة البشرية.

(الـشعيبــة)

الشهر الماضي

شعبان، ١٤٣٣ هـ

ليلة مُقمِرة

عكستْ أمواج البحر الهادئة نوره، بينما وقف شامخًا في كبد السماء لم يعكر صفو ليلته المصطافون المتطفلون، نظرًا لحرارة الجو والرطوبة التي غمرت الساحل. آلمتني رقبتي جراء إطالة التحديق به فخفضتُ بصري عن البدر وكأني استحييت منه... آخذًا نفسًا عميقًا أعادني لأرض الواقع.

«انظر يا خالي، لقد أحضرتُ لك هذه الصدفة»

نطقت بابتسامتها البريئة على وجهها المستدير مادةً يدها الصغيرة إلي بصدفة بيضاء... بينما انشغلت يدها الأخرى بحك شعرها الأسود الذي عذبته الرطوبة.

«أوووووه شكرًا لك يا نسمةً من نسمات الهواء العليلة!»

قلتُ حاملاً إياها لأضعها على حجري، مقبلًا خدها الذي تناثرت عليه قطرات البحر المالحة.

«أتعلمين؟ يُقال إنك إذا وضعتِ الصدفة على أذنك فستسمعين أمواج البحر أينما كنت»

وضعتُ الصدفة في أذن (نسمة) التي رفعت حاجبيها محاولةً الاستماع والتحقق من النظرية، لتتبسم ناظرةً إلي مجيبةً:

«أنت على حق!»

«أتذكر عندما أخبرتنا أمي بهذه الخرافة، فجمعنا كوماً هائلاً من الصدفات لنأخذها للبيت معنا... وباءت كل محاولاتنا للاستماع للبحر بالفشل»

تدخلت أختي (أبرار) للمحادثة عرضيًّا، ضاحكةً وهي تمرر يدها خلال شعرها الأسود القصير... محدقة بالبحر اللامنتهي.

أكملتُ بضحكةٍ عاليةٍ: «نعم نعم، لم نسمع سوى شجارات والدينا، لا أمواج ولا هراء»

قهقهَ كلانا على الكوميديا السوداء التي تخللت حياتنا، بينما نظرت (نسمة) لنا باستغراب وعدم فهم.

«ما الذي...»

قاطعَ (أبرار) صوتُ طلقةٍ نارية دوّت بالأرجاء، وتبعها صوتُ صراخ فتاةٍ مُفزِع! التفتَ جميعنا نحو مصدرِ الصوتِ الذي كان قادمًا من ذلك المبنى الضخم الذي هجره البشر منذ زمن طويل... ذلك المنتجع المهجور.

(منتجع وشاليهات أكتوبر) ، أتذكر اللوحة الغابرة القديمة التي توسطت مدخله المغلق حين مررنا به قبل التوقف على الشاطئ مبنىً ضخمٌ مهول تشققت جدرانه واحتلّ الصدأ معادن بوابته الرئيسة... مما دل على هجران أصحابه له.

عبثت الرياح الشديدة بشعري لتذكرني بما علي فعله، عوضًا عن التحديق بالموقف ومحاولة التحليل كالأبله. ألقيتُ نظرةً على (أبرار) التي وقفت بعباءتها الزرقاء مقطبة حاجبيها، فاغرةً فمها ويداها تمسكان بابنتها (نسمة)، مستعدّةً للدفاع عنها بشراسة من أي شر قادم... وهي تحاول التملص بلباس السباحة المبلل الذي التصق بجسدها. هرعت لسيارتي صارخًا مشيرًا لـ(أبرار):

«اتصلي بالإسعاف والشرطة سريعًا!»

أخرجتُ مسدسي منها، وعدتُ لأختي وابنتها... والتي وضعتْ يديها حول (نسمة) كالذئبة التي ستحمي صغيرتها حتى لو كلفها الأمر حياتها.

(أبرار)، اسمعيني جيدًا... احتمي داخل السيارة وانتظري قدوم الشرطة والإسعاف... لا تغادريها مهما كلف الثمن!»

صرختُ متأهبًا للانطلاق نحو المنتجع، آخذًا نفسًا عميقًا.

«أليس من الأجدر أن آتي معك لأساعدك؟!»

ليس الأمرُ وكأنك شرطية! فقط انتظري داخل السيارة ولا تغادريها، رجاءً!»

أن تعملَ في السلك الأمني يعني أن تكون مستعدًّا دائما لتلي النداء، نداء الواجب. لا يرتبط العمل بأوقات عملٍ رسمية البتة، ما دمت تتنفس فأنتَ على رأس العمل ركضتُ نحو الشاليه والطلق النارية لا تزال تدوّي برأسي، وصراخُ الفتاةِ يتردد بمسامعي... ما الذي يحدث هناك؟!

لم يكُن الحائط قابلًا للتسلق البتة، بارتفاعه الشاهق. قررتُ الدخول من الجهة المطلة على الشاطئ، هذا بالطبع أسهل وأسرع من البوابة الرئيسة. اقتحمتُ أمواج البحر التي اشتدت جراء الرياح، وشعرتُ ببرودتها على قدمي... وأطلقتُ بصري لأرى إن كان هناك سبيلٌ لاقتحام المبنى من الجهة البحرية.

بالطبع، علي السباحة قليلًا فقط قبل الدخول إلى أحد شاليهات المنتجع المهجور. قُسِّمَ الشاليه الكبير لعدة شاليهات صغيرة، بحيطان مرتفعة فصلت بين كل شاليه والآخر... لتمنح كل واحد شاطئًا مستقلًّا خاصًّا.

خلعتُ قميصي ورميته جانبًا، لأقفز في المياه وأشق طريقي نحو أقرب شاليه سبحتُ بسرعةٍ رغم هيجان الأمواج، وكأنها تحاول منعي من الوصول! أكملتُ السباحة حتى وصلتُ لشاطئ الشاليه، لأ تحرك سريعًا شاهِرًا مسدسي... شاعِرًا ببرودة الرياح على صدري المبتل. كل ما علي فعله الآن عبور الباب الزجاجي المتهالك الذي صدئت معادنه، والخروج لبهو الشاليهات المجاورة... إلهي... من أين خرجت تلك الطلقة النارية... والصراخ؟

كل شيءٍ صرخَ أن المنتجع مهجور، لم تطأه قدمُ بشري منذ أعوام طوال... حتى الأمواج المتلاطمة على شطآنه كانت تنعى النزلاء الذين أحيوا بحرها يومًا. كراسي الاستجمام التي تحول لونها للأحمر القائم، وتشقق الفِراش الممتد عليها... الفراش الذي كان مخمليًّا مريحًا يوما ما أخذتُ نفسًا عميقًا وسحبت الباب الزجاجي لليمين، ليُحدِثَ صريرًا مزعجًا جدًّا... وغزتْ رائحةُ الغبار أنفي قبل الدخول حتى لغرف الشاليه الداخلية.

لم يكُن الأثاث بالداخل أحسنَ حالًا، تستطيعُ التيقن من هجران المكان حتى في الظلام عطستُ عدة مرات وسددتُ أنفي، لأخترق الغرف سريعًا وأصل لباب للساحة الخارجية... لأرى الدماء التي لطخته من كل جانب... قبل أن أسمع ذلك الأنين المتقطع. كان قادما من الحمام، مشيتُ بحذرٍ شاهِرًا مسدسي نحو أي مفاجأة قد تداهمني... وقطراتُ الدماء المتناثرة على الأرض شكلت خطًّا متعرجًا للحمام... ليعلو صوتُ الأنين أكثر وأكثر... قبل أن يختفي بالكلية. دخلت الحمام الذي نال نصيبه من الدماء المترامية أيضًا، ولم يتطلب مني الأمر الكثير من الوقت حتى وجدت مصدر الأنين جالسًا داخل حوض الاستحمام... مُغلقًا الستارةَ عليه لكن طيفه قد فضحه. فتحتُ الستارة بقوة وقد صوبتُ مسدسي، قبل أن ترفع الفتاةُ عينيها الخائفتين لي وتقول بصوت متقطع... وجسدها يرتعش بالكامل:

«أرجوك لا تؤذِني»

خفضتُ مسدسي وجلستُ القرفصاء بجوارها، محاولًا طمأنة الفتاة المسكينة التي سالت الدماء من كتفها... حتى تلطخ قميصُها الأبيض الواسع وحوضُ الاستحمام بأكمله وحتى الحمام.

«لا تخافي لا تخافي يا ابنتي، معك النقيب (أديم أحمد)... الإسعاف في طريقه إلينا الآن ورجال الشرطة»

رفعتْ يدها النحيلة وأمسكت كتفي بقوة، ناظرة لي بعينيها العسليتين الواسعتين... واللتين أكاد أسمعهما تطلبان النجدة وتتوسلان إلي لتصرخ دون مقدمات بنفسها المتقطع :

«أسرع، إنهم قادمون! لنهرب الآن!»

«من هم القادمون؟ نهرب ممن؟»

سالتُها وهي تشد ذراعي بكل قوتها للتحرك، بينما صببتُ جام تركيزي ونظري للبحث عن أي أحد خلفي.

«(صاحب العباءة البرتقالية)، إ.. إ.. إنه..»

لم تكمل جملتها حتى تداعى جسدُها النحيل، أكملت عبارتها بانينٍ خفيفٍ لا يكادُ يُسمع... لأضع يدي خلف رأسها حتى لا يرتطم بحوض الاستحمام. أغلقتْ عينيها بعد مقاومة منها والأنين الخفيف لا يزال يصدُرُ من فمها، وأنا أضعُ رأسها على الجدار بروية وهدوء.

من هو (صاحب العباءة البرتقالية) بحق الله؟! ما هذا الهراء؟ كانت الفتاة لا تزال تتنفس بانتظام مما يعني أنها فقدت وعيها فقط، شققتُ جزءًا من قميصها وربطتُهُ على الجرح حتى لا تفقد الكثير من الدماء... إلى أن يصل المسعفون.

وقفتُ وشهرتُ مسدسي لأتجه للخارج، ماشيًا بهدوء تحسُّباً لأي مفاجآت. هل سيكون (صاحب العباءة البرتقالية)، أو أيا كان الذي تهرب منه الفتاة... بانتظاري هو وأعوانه بشتى أنواع الأسلحة؟

وصلت للباب الخارجي للشاليه، نظرتُ بطرف عيني ودقاتُ قلبي تتسارع، كيف تحولت ليلتي الهادئة على الشاطئ لاقتحام منتجعٍ مهجورٍ قبعت فيه فتاةٌ بطلقةٍ في جسدها؟

لا أحد، لكن ما رأيته جعلني أبتلع ريقي بصعوبة... وقلبي يكاد يغادر قفصي الصدري من شدة دقاته اقتربت بحذر وهدوء متلفتًا حولي، متشبّثاً بمسدسي أيما تشبث... باحثًا عن أي تفسيرٍ لأغرب منظرٍ رأيته في حياتي!

وسط الساحة التي توزعت حولها أبواب الشاليهات الخشبية وأرقامها بانتظام، قبع مسرح خشبي حديثُ الصنع... عليه منصةٌ خشبية للتحدث. بجوار المنصة استقر رأس الماعز على قضيبٍ من حديد، اللعنة.. ما هذه العشوائية؟ مشيتُ حتى وقفتُ أمام المسرح وحدقت برأس الماعز المذكى، والذي كان الدم لا يزال يقطُرُ منه مما يعني أنه ذُبِحَ حديثًا! تلاعبت الرياح بأذنيه وطار القليلُ من دمائه التي تسيل. ككابوسٍ مزعجٍ يستيقظُ منه النائم ويستعيذُ بالله من الشيطان الرجيم، ليعود ويكملَ نومه بعد أن اطمأن قلبه أن ما رآه مجرد كابوس... لكن هيهات... لم أستيقظ أنا من كابوسي.

لحظة، أهذه نجمةٌ خماسية مرسومةٌ بدماء؟ لا لا هذا كثير، أرجوك استيقظ يا عقلي لو كان هذا مجرد كابوس أمام المسرح وضعت جمة القاعدة حوالها كويس زجاجية متناثرة مكسورٌ بعضها... وقد انسكب منها السائل الذي كان يملؤها.

قاطع حبل أفكاري صفاراتُ الإسعاف والشرطة، مما جعلني آخذ نفسًا عميقًا وأتأهب مستديرًا حولي... قبل أن يباغتني أحد المختبئين هناك إن وجد. عدتُ أحدق بأغرب شيءٍ رأيته في حياتي، بعد أن ارتاح قلبي قليلًا أن أحدهم سيشاركني هذا الكابوس... لن أضطر التعايش معه وحدي علهم يجدون جوابًا منطقيًّا. لكن أي منطقبة التي ستبرر مسرحًا حديثًا وسط منتجع مهجور استقر عليه قضيبٌ منتهٍ برأس ماعزٍ ،مجزوز، رسمت بدمائه نجمةٌ خماسية؟!

«الشرطة، ارفع يديك واستدر ببُطء!»

صرخ أحدُ رجال الشرطة بعد أن اقتحموا المنتجع، ووقعُ أقدامهم يهز الأرض.

«النقيب (أديم أحمد)، من المباحث الجنائية، توجد فتاةٌ مصابةٌ في الشاليه رقم ٧»

قلتُ بهدوء مُظهرًا لهم بطاقتي دون أن ألتفت، وصدري لا يزالُ عاريًا ولا يغطي جسدي سوى سروال السباحة... وعيناي لا تغادران الماعز المذبوح... رأس الماعز إن صح التعبير.

صمت جميعهم للحظات، قبل أن يصرخ أحدهم:

«إنه أحدنا، اقلبوا المنتجع رأسًا على عقب بحثًا عن أي دليل ولا تغادروا منه بقعةً دون فحص!»

تبع عبارته تلك وقع الأقدام المجلجل لأرى رجال الشرطة الذين بدؤوا اقتحام الشاليهات العتيقة واحدًا تلو الآخر... وإضاءات الكاميرات المومضة تنطلق حولي ماسحة المسرح... والذي أعتقد أننا سنسميه مسرح جريمة عما قريب.

«كان بوسعك الالتفات وأنت تعرف عن نفسك بدلًا من أن تعطينا ظهرك العاري، أيها العم (كونان)»

أطلقَ جملته تلك واقِفًا بجواري، واضعا يديه على خصره متأملًا بشاعة وغرابة العشوائية حول ذلك المسرح. ما هذه البجاحة في الحديث مع الغرباء؟! لطالما كرهتُ هذا النوع من البشر الذي يطلق الأحكام ويتهكم بالجميع ولا يعجبه أحد حتى نفسه!

يملك وجهًا أبيضَ حاد الملامح من الصعب أن تفوت عينيه الكحيلتين... بلونهما البني وحدتهما شعرُهُ الأسود الجعدُ صامدٌ لا يهتز جراء الرياح الشديدة، وشاربه الكثيف على ملامحه الحادة كونا رونقا يليق برجل أمن... مع بدلته العسكرية.

لم أكترث للرد عليه فهذا نظامي مع السفهاء، ناهيك عن أن لدينا ما هو أهم من بجاحة زميل عمل.

«شيطاني للغاية»

قال وهو يجلسُ القرفصاء أمام النجمة الخماسية، محاولًا إيجاد رابطٍ منطقي بين كل ما حدث.

«سيادة المقدم (مسعود)»

ناداهُ أحدٌ خلفنا التفتَ كلانا لنرى أحد فريق الطب الشرعي. بلباسه الأبيض وقفازاته ونظاراته الواقية وخلفه بقية الفريق.

«أحتاج أن أعرف كل شيءٍ عن هذه العنزة، كل التفاصيل.. وامسحوا الكؤوس المتناثرة واللوحات هذه... ثم انتقلوا للشاليهات... هيا»

أعطى المقدم (مسعود) ،تعليماته وضربَ الفريق له التحيّة العسكرية وانتشرَ للتنفيذ.

رأيتُ أحد رجال الأمن يهرعُ وبيده ،قميص برقت عيناي وقد حسبت أنه أحد

الأدلة الجنائية... لحظة... لِمَ يحمله دون قفاز؟ قد يفسد البصمات!

«استر نفسك بهذا القميص واحمِ صدرك الذي آذاه البردُ، أيها النقيب (أديب)»

إلهي ما أسخف هذا الرجل الكحيل، لم أعلم كيف تمالكتُ نفسي وأخذتُ القميص منه بعنف مُجيباً بامتعاض... ونظرات عيني تكاد تفترسه «اسمي (أديم)»

لم يُجب بالطبع، رأيته يتفحص الكؤوس المتناثرة بعينه... لأتذكر وقتها شيئًا مهمًّا!

طلبتُ القفازات من أحد رجال الأمن لأحمل كأسًا من الكؤوس المتناثرة، حوى قليلًا من السائل الذي لم أتحقق من هويته بعد... قربتهُ من أنفي واستنشقته.

«كحول»

نطقتُ مُبعدًا الكأس ورائحته النفاذة عن أنفي لأضعه أرضًا، أكانوا يقيمون حفلة عربدة هنا؟ أكانت تلك الفتاة مختطَفَةٌ من حفنة عرابيد؟ وما دخل الماعز المسكين والنجمة، هذا غير منطقي!

«خمرة، منتجع مهجور، فتاة جريحة، نجمة شيطان، بهيمة مذبوحة»

نطقَ المقدم (مسعود)، وعيناه الكحيلتان تنظران لي بحدة... في الحقيقة كل ملامحه نظرت لي بحدة.

«تستطيع أن نكمل نحن التحقيق من هنا شكرًا لك ولجهودك أيها النقيب... نحتاج منك فقط أن ترافقنا للقسم لنسجل أقوالك»

قال (مسعود) ما قال، لكن عقلي كان منشغلًا بشيءٍ آخر... شيءٍ غريبٍ حمله أحد العساكر على عتبة بابٍ من أبواب الشاليهات المرقمة، لوحة سوداء كُتبَ

عليها الرقم ٤.

صوت الحق

«لم ألحظ أي حركةٍ مريبةٍ حول المنطقة، لم الحظ أي حركةٍ أصلًا منذ وصلنا إلى الشاطئ»

أجبتُ وعيني لا تغادر عينيه الكحيلتين، بينما ارتشفَ من كوب الشاي في هدوءٍ تام... بملامحه الحادة المستفزة.

لم ينطق بحرف اكتفى فقط بالإيماء لي وعقلهُ يسبحُ في عالمٍ موازٍ... تاركًا المجال للرياح الشديدة بالخارج لتتكفل بالرد. جلسَ المقدم (مسعود) خلف مكتبه الأسود العريض، مُريحًا ظهره على الكرسي وبيده كوب الشاي... محدّقًا بعيني وكأني أمتلك الجواب للأسئلة التي تدور في ذهنه اسمه مع رتبته العسكرية استقرا فوق مكتبه، وخيمت هالةٌ من الكآبة حول الغرفة لسببٍ ما... مما جعلني أعدل جلستي مرارا وتكرارًا.

«تُثَار الكثير من الإشاعات حول أن مدينتنا الصغيرة الرطبة مسكونة ومليئة بالجن وطيلة عملي هنا لم أشهد منظرًا شيطانيًّا كذلك»

هذا الرجلُ غريبٌ جدًّا، يحاورني ويفكر بصوت عال في اللحظة ذاتها... لا أعلم كيف يعمل عقله.

«لا أصدق تلك الترهات المنتشرة عن (الشعيبة)، لطالما أتيتُ للتنزه هنا في منتصف الليالي ولم يمسسني سوء»

قلتُ معدّلًا جلستي للمرة الألف، محاولًا مجاراة كيمياء عقل العجيبة وتركيبتها.

«من الواضح أنك تأتي هنا كثيرًا، فمن يأتي لهذه المدينة في في الصيف؟ على العموم، نشكرك كثيرًا على مجهودك ونستطيعُ تولي الأمور من هنا أيها المحقق... استمتع ببقية رحلتك مع عائلتك»

حاولَ إنهاء الجلسة قائمًا عن كرسيه ليُصافحني، بعد أن طردني بطريقة محترمة... ولم تكن تلك مرته الأولى التي يقول فيها عبارته تلك. مددت يدي على مضض واقِفًا لأقول له:

«لا أعلم مشكلتك معي يا رجل، وسأتصنع أني لم أسمع منك هذه الجملة رغم أنك أعدتها كثيرًا... يتوجب علينا العمل كفريق بدلًا من محاولة طردي»

همستُ له بحدة، غامزًا وعيناه البنيتان تكادان تلتهمانني:

«بصفتي المسؤول المباشر عن هذه القضية ومدير شرطة المنطقة أستبعدك من هذا التحقيق»

أجابني بالهمسة والغمزة ذواتهما، مبتسمًا نصف ابتسامة:

«حسنًا، معك حق... سأوصل أوامرك هذه للمسؤولين لتخبرهم أنت بأسباب استبعادي التي لا وجود لها ...»

قاطعَ حديثنا رجل الأمن الذي طرق باب المكتب، سمحَ له المقدم بالدخول بعد أن رمقني بنظراتٍ باردة وأنهى كلانا المصافحة التي طالت قالَ بعد أن ضربَ التحية العسكرية:

«سيادة المقدم، تم إبلاغ ورثة المنتجع بالحضور للقسم في الصباح الباكر»

أومأ له وأشارَ بالمغادرة، فلم يكُن من العسكري إلا أن ضربَ له التحية مجددًا وأغلقَ البابَ خلفه... لنعود لخلافنا السخيف الذي وجب علينا تركه والتركيز على القضية.

«تفضل بالجلوس، حضرة النقيب (أديم)»

تنهد بعمق بعد أن تيقن أنه لن يتخلص مني بسهولة، ليجلسَ كلانا وأطرح سؤالي:

ما دمت من سكان (الشعيبة) وقد ترعرعت في هذه المدينة الرطبة، أخبرني عن (منتجع أكتوبر) هذا»

عقد ذراعيه وأراح ظهره ليقول، متلاعبًا بقبعته العسكرية:

«لا شيء مهم حقًّا، مجرد منتجعٍ كان ناجحًا جدًّا واستقطب العديد من السياح حين كان مالكه (حسام) حيًّا... لتتوفاه المنية وتنتقل ملكيته لابنيه التوءمين (فهد) و (سعد) اللذين أهملاه . تدنى مستواه تدريجيًّا وأُغلِقَ قبل عشر سنواتٍ تقريبًا»

كم هو مؤلمٌ أن ترى مشروعًا عظيمًا بذل فيه أصحابه جهدهم ومالهم ووقتهم وصحتهم لينتقل لأبنائهم وأقاربهم المهملين اللامبالين... فيضيعوا تعب السنين في غمضة عين! ما هذه الأفكار الغبية، لا وقت للتأمل في المشاريع وأسباب فشلها... تلاعين بلحيتي الكثيفة طارحًا سؤالي التالي:

«ماذا عن الفتاة، هل من جديد عن هويتها؟»

«أنتَ معنا طوال الوقت، لو جد جديدٌ لكنتَ أول من يعلم!»

أجابَ بحدة بعد أن هز رأسه بالنفي، لم أكترث لوقاحته الشديدة... نظرتُ لساعة الحائط التي أشارت للثانية بعد منتصف الليل. قمتُ من مكاني وتوجهت نحو الباب قائلًا:

«ستجدني أول الحاضرين غدًا لننظر في أمر الورثة، ولا تنسَ إخبارهم بتجهيز نسختي من ملف القضية، طابت ليلتك سيادة المقـ..»

قاطعنا صوتُ طرقٍ للباب وسمح له المقدم بالدخول، وإذ به العسكري نفسه ضاربًا التحية لنا ليقول:

«سيدي،لم نجد سوى بلاغ واحد في الأيام المنصرمة عن الفتيات المفقودات،

وقد صدر من إحدى دور الأيتام عن فتاةٍ هاربةٍ لا مفقودة... اسمها (ريحانة بنت...) وصورتها المقدمة في البلاغ تتطابق مع الضحية»

لمعت عينا (مسعود) الكحيلتان ليصدر أوامره:

«أبلغ المسؤول عن الدار أيًّا كان بالحضور للمقر غدًا صباحًا، مهما كانت الظروف»

أومأ العسكري وغادر الغرفة، لأتبعه قائلا:

«أراك غدا حضرة المقدم»

غادرتُ مكتبه لأرى العساكر المنتشرين في أرجاء القسم، وكلٌّ قد انشغل بمهمةٍ وُكّل بها... والمعتقلين القلائل الذين أظن أن جرم كٍّل منهم لم يتعدّ تفحيطًا بالسيارة أو شجارً سخيفًا. خطت قدمي بوابة الخروج لأنزل من درج القسم الطويل، وتداهمني رطوبة الجو التي لم يعتد جسدي عليها بعد... رطوبةٌ اختلطتْ بهواءٍ شديد رغم حرارة الجو.

«لن يتركوا أحدًا في حاله، سيقتلون الجميع ! سيقتلون الجميع !»

قفزَ قلبي من مكانه حين انقضَّ علي كهلٌ طعن في السن، شادً ياقة قميصي وعيناه المتعبتان اللتان امتلأتا بالمياه الزرقاء تغوصان أعماق عيني.

«اهدأ اهداً يا عم من هم وسيقتلون من؟»

حاولتُ تهدئته وهو يشدُّ ياقة قميصي بيديه المرتعشتين ترهل جلدهما... محاوِلًا فهم أي شيء منه.

«لقد... لقد... لقد أخذوا مني أمنيتي الوحيدة»

قالَ وهو يفلتُ ياقتي فجأة، ملتفتًا بجسده كله لينظرَ للشارع... ليحدُثَ ما لا يتوقعه أحد. أجهشَ الكهلُ بالبكاء، ويده لا تزال ترتجف... ماشيًا نحو الشارع على غير هدًى بظهره المحدودب. سترَ جسده ثوبٌ ناصعُ البياض، فُتحت أزراره العلوية وشمرت أكمامه... والرياح تأخذُهُ يمينًا وشمالًا مما جعله يتوازن بصعوبة حتى كاد انَّ يفقد توازنه عدة مرات.

خيّمَ الحزن والأسى والضياع على جسده. ترهل جلده، احدودب ظهره، اصفرَ ما تبقى من أسنانه الأمامية، سبحت عيناه السوداوان في المياه الزرقاء، أصاب رأسه الصلع... بينما اشتعلت لحيته التي حركتها الرياح بالشيب. أهو عجوزٌ خرفُ هرب من منزله أو دار الرعاية، أم مجنونٌ مشرد يجولُ الشوارع في هذا الوقت من الليل؟ نقضَ ثوبه الأبيض نظرية المشرد، يبدو جديدًا نظيفًا و باهظ الثمن.... ومن أين لمشرد بثوب كهذا؟

لم أكُن لأدعه يتجول بمفرده حتى لا يصيبه أذى، لحقتهُ وأمسكتُ بيده لأمنعه من المشي في الشارع.

«هلا أخبرتني باسمك يا عم؟»

سألتهُ مُسنِدًا ذراعه، متأملًا ملامحه.

«انفذ بجلدك يا بني ابتعد عنهم واخرج من هذه المدينة اللعينة.. ولا تعُد أبدًا!»

قال عبارته تلك متسمّرًا مكانه، لينظُرَ بعيني نظرة الناصحين.

«عم (بركات)! ماذا قلنا عن الخروج في منتصف الليل؟»

قاطعنا أحد العسكر وهو ينزل من القسم بسرعة.

«من هذا الكهل؟»

سألتُهُ وعلامات الاستفهام تملأ رأسي، لأن كلامه يذكرني بكلام شخصٍ آخر... فتاة الشاليه التي ابتدأ معها كل شيء!

«لا تُشغِل نفسك حضرة النقيب، العم (بركات) رجلٌ فقدَ عقله منذ عدة سنوات... وهذا هو وقته المفضل للخروج وإشغال من حوله بهرطقاتٍ لا أصلَ لها من الصحة. أستأذنك فسأعيده لمنزله الآن»

قال العسكري ناظرًا للعم (بركات) بإشفاق وحزن، ليُكمِل:

«هيا معي يا عم لنذهب للمنزل وسأشغل لك مسلسلك المفضل»

مشى معه (بركات) دون مقاومة، بظهره المحدودب ويديه المرتعشتين... ليطمئن قلبي ناظرًا للكهل المسكين قبل أن تلامس مسامعي عبارةٌ غريبةٌ منه.

«لكن... لكن (صاحب العباءة البرتقالية) لن يترككم وشأنكم يا بني إنه..»

«هل هذه أول مرة ترى فيها مجنوناً؟»

تهكم (مسعود) وهو يغادر القسم بهدوء، واضعًا يديه في جيوبه.

«أتتذكر تلك العبارة الغريبة التي قالتها (ريحانة) قبل أن تسقط مغشيًّا عليها؟».

سألتهُ وعيني لا تغادرُ الكهل المحدودب، مبتعدًا والعسكري يسنده.

«(صاحب العباءة البرتقالية)؟»

قال (مسعود) مقطبًا حاجبيه، واقفًا بجواري ويداه حول خصره. أطلقتُ تنهيدةً عميقةً علها تحل هي كل هذا الغموض المتراكم قائلًا:

«يقول إن (صاحب العباءة البرتقالية) لن يتركنا وشأننا أرجوك لا تقل لي إنك ستأخذ أي شيء يقوله هذا العجو الخرف على محمل الجد».

تجهم المقدم ناظرًا لي بحدة، مما جعلني أبادله النظر لتلتقي أعيننا والكهلُ يتلاشى تدريجيًّا.

«ألا تعتقد أن من الصعب أن تكون هذه مجرد مصادفة؟ أن يذكرا العبارة ذاتها في اليوم ذاته، بالوصف ذاته؟»

سألتهُ دون اكتراثٍ بفظاظته، فعقلي كان منشغلًا بما هو أهم.

«أنت تضيع وقتك ووقتي، تحتاج أن تُريحَ جسدك»

قال مربتًا على كتفي ليتحرك نحو سيارته.

«ستخبرني غدًا عن كل ما يتعلق بالعم (بركات)، تصبح على خير».

أنهيتُ المحادثة وركبتُ سيارتي، أغلقتُ الباب بعنفٍ وزفرت... زفرةَ القلقِ ذاتها التي تداهمني مع كل قضية. أعتقد أن المقدم (مسعود) على حق ، ألم يتوجب علي الاستمتاع بإجازتي لتصفية ذهني بعد كل ما حدث؟! تصفيةِ ذهني بعد انفصالي عن قطعةٍ مني، والتعايش مع ما تبقى من جسدي... تاركًا قلبي معها... مع زوجتي (أسرار)... عفوًا، طليقتي.

لكنه نداء الواجب ، لا يكترث إن كنتَ في اجازةٍ او مناسبة او مأساة .....وقد اختار كلٌّ من خاض السلك الأمني الاستجابة له دومًا! ليسَ الأمرُ وكأني أستطيع نسيان كل ما حدث والاستمتاع بما تبقى من إجازتي، دون أن أساعد تلك الفتاة المسكينة أو أن أساهم على الأقل... وأعرف ماهية الشيء الغريب الذي رأيناه في المنتجع المهجور بالضبط.

أعادتني زمجرة الرياح للواقع، لأشغل المحرك وأنطلق نحو الفندق الذي

نمكث فيه. لم يشغل الشوارع والأحياء سوى الرياح والقطط وبعض الكلاب، لا وجود للبشر في تلك الساعة المقاربة للفجر... وهذا ليس بمستغرب إطلاقًا. حتى في المدن الكبيرة... فماذا عن هذه المدينة الساحلية الصغيرة... (الشعيبة). قاربت في خلوها من السكان مدينتنا الجبلية الصغيرة، (الطائف)... آهٍ لا أعلم كيف سأبتعد عنها وقد قطنتُها طيلة حياتي.

رغم ابتعاد الناس عن (الشعيبة) وقلة قدومهم لها للنزهة والتفسح، أنا وأختي (أبرار) نحبها كثيرًا... لقُربها منا ونظافة شطآنها وخلوها من الناس... الناس الذين إذا شغلوا مكانا واكتظوا فيه هربتُ منه. حسنًا أعتقد أن هذا سيتغير بمجرد مباشرة عملي بـ(الرياض)، غزت قلبي نغزةٌ من النغزات المعتادة حين تذكرتُ أني لن أمكث في (الطائف) بعد الآن... هروبًا من ذكرياتي مع طليقتي. دقائق معدودة وتوقفتُ أمام الفندق، دخلتُ البهو ليستقبلني موظف الاستقبال بابتسامته الزائفة التي أجبرها عليه مديره في العمل. أومأتُ له برأسي واستخدمتُ المصعد للوصول لطابق غرفتي، وما أن وصلت وفُتِحَ الباب حتى رأيتُ (أبرار) بعباءتها الزرقاء جارّةً بيدها حقيبة السفر مع زوجها (منذر)... الذي حمل ابنتهما (نسمة) التي لم يلبث أن يجف - شعرها من مياه البحر وقد تساقطَ دمعها لسببٍ لا أعرفه.

«أواثقٌ أنك تود البقاء هنا بمفردك؟ لستَ مجبَرًا على التحقيق في هذه القضية»

قالت (أبرار) والقلقُ يعلو نظراتِها، راجيةً أن أغير قراري في آخر لحظة.

«نعم، ها قد عادت لي الروح لممارسة عملي فلن أضيعها... أحتاجُ أن أشغل عقلي بشيءٍ بعيد عنها»

قلتُ مغادرًا المصعد لأصافحهم وأودعهم، لترفض (نسمة) وداعي مشيحةٌ بنظرها عني.

«لقد وعدتني أن نجلس هنا كثيرًا من الوقت!»

امتعضتْ رافضةً أن تنظُر لي، فأعطيتها قبلةً سريعة رغمًا عنها. استقلوا المصعد ومشيتُ لغرفتي، دخلتُها مستخدمًا بطاقتي.

زفيرٌ عميق ها نحن أولاء مع قضية جديدة تبدو شديدة التعقيد... تفحصتُ جناح الفندق الفارغ الذي كان من المفترض أن أقضي فيه وقت النقاهة قبل الانتقال لـ(الرياض). هرعتُ لغرفتي وفتحتُ حقيبتي، وأخرجتُ العدة والعتاد الذي لا يغادرني حتى في السفر... سلاحي الفكري قبل سلاحي العسكري... النردان الأسودان وما يتبعهما من أوراق وأقلام ودبابيس.

أمانةً، هي أهم من الأسلحة النارية والبيضاء الحسية... دون هذه الأسلحة المعنوية تظل تلك الحسية دون قيمة بالنسبة لي.

سرعان ما وجدتُ نفسي أخط الحبر بين الأوراق لتجهيز لوح التحقيق، نعم . أنا لا أملك الصور وملف القضية لكن هذا لن يوقفني عن عمل لوحتي المعتادة.

(منتجع مهجور)

(مسرح جديد)

(عنزة منحورة)

(دماء شكلت نجمة خماسية)

(كؤوس خمرة مسكوبة)

(لوحة سوداء كتب عليها رقم ٤)

(فتاة جريحة بدت في العشرينيات من عمرها) وأخيرًا (صاحب العباءة البرتقالية).

وقفتُ ناظرًا لتلك الأوراق المرتبة رأسيًّا على الأرض، متلاعبًا بالنردين الأسودين كما جرت العادة وقت انغماسي بالتفكير العميق.

كيف ترتبط كل تلك الأشياء الغريبة المتناقضة بعضها ببعض ؟ منتجع مهجور داخله مسرح جديد! أهي إحدى تلك الطوائف العابدة للشيطان، بطقوسها الغريبة؟ غزا مخيلتي رأس الماعز الذي يقطر دمًا، لا أعتقد أني سأستطيع محوه من ذاكرتي ما حييت... ما الذي يفعلونه برأس عنز بحق القدير ؟! لا يوجد تفسير منطقي سوى أنهم بالفعل طائفة شيطانية أو دينية وذاك أحد طقوسهم المختلة! .

(الشعيبة) مدينة مسكونة بالجن والشياطين، أكانت تلك الصورة النمطية صحيحة وليست مجرد إشاعات كما اعتقدت طيلة حياتي؟ أعتقد أن الحل الوحيد الآن هو الانتظار حتى تفيق (ريحانة) من غيبوبتها لتخبرنا عما حدث معها ، فلا طائل من كل تلك الأدلة لو كنا بالفعل أمام أمور روحية لا تفسير لها... وهل أومن أنا بتلك الأمور الروحية أصلًا؟ لا أعلم لم أعد أعلم وعلي التوقف عن التفكير لأن...

«الله أكبر، الله أكبر»

بعثَ صوتُ الأذان الطمأنينة في قلبي، الله أكبر الله أكبر... صوتُ الحق هو وحده الذي يستطيع بعث الراحة والسكينة في قلوبنا بعد الذي رأيناه. وضعتُ النردين على طاولة الطعام ومشيتُ للحمام بتثاقل للوضوء، تاركًا الأوراق خلفي لأعود لها لاحقًا... الله وحده يعلم ما يحمله لنا الغد من مصائب ووقائع.

غيبوبة

كيف ظهرتِ من العدم وقلبتِ إجازتي رأسًا على عقب ؟ ما الذي كنت تهربين منه والارتعاد يقفز من عينيكِ؟ من أنتِ يا (ريحانة)؟ ومن هو (صاحب العباءة البرتقالية)؟ أرجوكِ أجيبيني.

سألتُها أو سألها عقلي بالأصح داخل حجرته المظلمة، وقد استلقت بجسدها النحيل والمغذيات تخترق عروق ذراعها التي برز عظمها... بينما تمايل شعرها البني الطويل مع رأسها وهي تغوص بأعماق غيبوبتهاجهاز تخطيط القلب اخترق لحظات الصمت برناته المزعجة الرتيبة، رناته المزعجة المتقطعة التي لم أمانعها.... لأنها التي تدل أن ضحيتنا لا تزال على قيد الحياة.

«شكرًا لك، أعلمني بكل جديد»

أخيرًا قاطع أحدهم صوت جهاز القلب، فاتحًا باب الغرفة خلفي... التفتُّ رغم علمي بصاحب الصوت... فقط حتى لا يقلل ذلك من احترامه كما حدث عند أول لقاءٍ لنا. صافحتُهُ ببرود وعيناهُ الكحيلتان تنظران لضحيتنا التي لم نعلم من هويتها إلا القليل، اسمها ويُتمها، بينما حمل بيده ملفًا سرعان ما ناولني إياه.... ليقترب من (ريحانة) متنهدًا بعمق واضعا يديه حول خصره.

تصفحتُ الصور داخل الملف ليقفز قلبي من بشاعة المنظر النجمة الخماسية ذاتها وُسِمَت بأسفل ظهر تلك الفتاة بالنار تسارعت يدي للتقليب بين الصور التي أظهرت حدوث اعتداء بأماكن متفرقة من جسد تلك المسكينة، الرسغين والبطن والفخذين والرقبة... بزُرقة مفزعة أثبتت الاعتداءات المختلة!

«اللعنة! من أين سقطت هذه الطائفة الشيطانية علينا؟! أتعتقد أنهم اختطفوا الفتاة لاغتصابها ثم قتلها؟»

هز رأسه بالنفي وعيناه البنيتان امتلأتا شفقةً على (ريحانة)، رغم حدتهما التفتَ لى قائلًا وهو يحك فروة رأسه تحت طاقيته العسكرية:

«لم تظهر التحاليل الطبية أية اعتداءات جنسية على الفتاة فقط الوسم الشيطاني والاعتداءات الجسدية... وقبل أن تسألني... لم نجد أي مطابقةٍ لحمض الفتاة في النظام»

يالهذا المسعود، لم تحمل عبارته تلك أي أخبار سارة ! بل زادت الأمور تعقيدًا.

«أعتقد أننا أمام قضية مرتبطة بالروحيات ،والخوارق هل بهذه الأمور سيادة النقيب؟»

باغتني (مسعود) بسؤاله وهو يلتفت ليواجهني، وتغوص عيني ملامحه... يالحدتها التي يستحيل أن يفوتها أحد.

«إن كنت تتحدث عن وجود الجن والسحر، فبالتأكيد لموافقتها كتاب الله عز وجل، وما خلا ذلك فموقفي حيادي. لكني لا أعتقد أن الهراء الذي رأيناه في المنتجع يرتبط بالخوارق البتة» .

أجبتُهُ واضعًا يدي في جيوب ثوبي، متأملًا الفتاة متسائلًا إن كان من هربتْ منهم عبدة شياطين أو سحرة... هذا ما أتذكره على الأقل عن النجمة الخماسية ومدلولاتها.

«علينا أن نضع كل شيء بالحسبان، حتى لو لم تدرك عقولنا الصغيرة ما يحدث حولنا... عدم إدراكنا لها لا يعني عدم وجودها ...»

رن هاتف المقدم ليسرع بالتقاطه والرد، وعقلي لا يزال يحلل ارتباط الأشياء المتناقضة بالمنتجع... هل الأمر فعلًا يرتبط بطقوس شيطانية لا ندركها ؟ عقلي يرفض ذلك قطعيًّا، ويعود للتفكير أن الأمر طبيعي كاغتصاب وحفلة عربدة وما شابه... لكن مجددا... كل شيء يشير أن الأمر خارق للطبيعة. ما

دخل العنز المسكين في حفلة عربدة؟

«حسنًا، أنا قادم».

أنهى المكالمة واتجه نحو باب الغرفة قائلًا:

«(فهد) و (سعد) في القسم، لنسمع ما سيقولانه عن كمية الغرائب بمنتجعهما».

تشنج عقلي للحظاتٍ من الثانية قبل أن يتذكر (فهد) و(سعد) ورثة المنتجع الذين أهملوه وقادوه للإغلاق. غادرَ (مسعود) الغرة لأرى انعكاس وجهي على بابها الزجاجي، وجهي الذي خيم عليه البؤس والشقاء منذُ أن بلغتُ أشدِّي... بالشعيرات البيضاء التي احتلت رأسي دون إذن. وقعتْ عيني على ضحيتنا النائمة قبل أن تستعد للمغادرة، وكأنها تعدها أن تعثر على الجاني بأقرب وقت... وتتوسل إليها لتصحو من سباتها الذي حيرنا.

غادرتُ غرفة الفتاة ليستقبلني العسكري الذي وضعناه الحراسة الغرفة، بتحيته العسكرية المتقنة.

«لا تدع الغرفة تغادر بصرك للحظة أرجوك»

خاطبتُهُ وقدمي تخطُّ رواق المستشفى الصغير.

«بالتأكيد سيدي، أوامرك».

أكملتُ المشي وعيني تتفحص الممرضات اللاتي انشغلن بدفع الأجهزة الطبية أو الحديث مع الأطباء... ليداهمني قلبي بنغزة شديدة... ناظرًا لشاغلي الوظيفة التي عملت بها طليقتي (أسرار). تلك الممرضة ذاتُ الشامة على خدها الأيمن، التي سلبتها مني أنانيتي الرعناء... لا يا قلبي أرجوك توقف عن استعراض الذكريات أيها اللعين!

ابتسامتها ذات الأسنان البيضاء المتراصة، شامة خدها الأيمن، عيناها العسليتان الناعستان، لا! توقف أيها الغبي، ها قد عدنا للعمل أخيرًا فلا تُعِدني لدوامة الألم والبؤس... أرجوك. خاطبتُ فؤادي وأنا أغادر المستشفى، متحاشيًا النظر للممرضات حتى لا أتذكرها... ومن أخادع؟ (أسرار) لعنةٌ احتلت قلبي وستظل تطارده ما حييت، لتوبخه على فراقها الذي يلعن نفسه يوميًّا على التسبب به. هكذا الرجال، لا يقدّرون المرأة حتى ترحل... أيًّا كانت علاقتهم بها.

غزت جسدي أشعة الشمس مع موجات الرطوبة العالية بذلك الوقت من الصباح، تلك الرطوبة المقرفة التي تلصق الملابس في الجسد وتفسد الشعر... والرياح قد هدأت بعد ليلة البارحة... عفوًا... كابوس البارحة. ركبتُ سيارتي محاولًا تذكر أي شيء يبعدني عن ذات الشامة، النجمة الخماسية والماعز... حسنًا هذا أفضل. إلى قسم الشرطة، انطلقتُ بصمت وعقلي يملؤه الفراغ... حتى التساؤلات تجاه القضية لم يعُد لها المفعول ذاته. أتضرع إليك يا الله لا توقعني في البؤس الذي عشته الأيام الماضية، حين بهت كل شيء من حولي... وطغت الرمادية على كل المشاعر.

لفتَ نظري مجموعة الناس الذين اجتمعوا على سيارة وقفَ أمامها أحد البائعين حركات يده وارتفاعه عنهم دلت أن السيارة تحت المزاد... وأنه يكافح لرفع سعرها قدر الاستطاعة. تجاوزتهم واقتربتُ من مركز الشرطة، ليبرُقَ ذهني فجأة... لوحة مزاد!

تلك اللوحة التي كتب عليها الرقم ٤ تماثل لوحات المزاد التي يحملها المشترون، ويرفعونها كلما أرادوا رفع المزاد وعرض سعر أعلى ! لحظة، تعقدت الأمور أكثر الآن... كيف ترتبط لوحة المزاد بالهراء الغريب الباقي؟ وصلتُ آنذاك لمركز الشرطة وهرعتُ من سيارتي لأرتفع على الدرج الطويل، وكل ما يدور بعقلي هو لوحة المزاد ومحاولة ربطها بأي شيء... المسرح والكراسي والخمرة ومنصة الخطاب. لكن ما دخل الماعز والنجمة الشيطانية؟!

«ينتظرونك بغرفة الاستجواب سيادة النقيب»

قال أحد رجال الشرطة ضاربًا لي التحية العسكرية، لأومئ له وأتجه نحو الغرفة سريعًا... بينما سبح عقلي بعيدا على سواحل المنتجع. دخلت الغرفة لأجدَ المقدم جالسًا وأمامه التوأمان (فهد) و (سعد)، توأمان غير متماثلين البتة.

«النقيب (أديم) من المباحث الجنائية»

قدمني المقدم لهما ببرود، ليقفا ويصافحاني بعدم اكتراث... وقد كونت فكرةٌ عنهما منذ النظرة الأولى.

«(فهد) و (سعد) ابنا السيد (حسام) رحمه الله»

(فهد) على الميمنة بثوبه الواسع الذي بدا باهظ الثمن، ومعطفه السخيف الشكل الذي بدا غير لائقٍ عليه أبدًا... ولحيته الخفيفة على وجهه الأسمر. (سعد) على الميسرة ببنطال الجينز المشقق الأبيض، وعلى رسغه ساعةٌ ذهبية من إحدى الماركات والقميص العالمية... لم تتناسق أبدا مع لباسه.

كانا من أولئك الأثرياء الذين أنعم الله عليهم بالثراء الفاحش، كانا من لكن سلبهم الذوق الرفيع... هذا انطباعي الأول على أية حال.

«كما قلت لحضرة المقدم قبل قليل، لم نضع قدما في هذه المدينة منذ توفي والدنا»

قال (فهد) ناظرًا لساعة معصمه، ليحول نظره حول الغرفة بتذمر .

«من كان المسؤول عن المنتجع في غيابكما؟ منذ توفي والدكما وحتى أغلقتما المكان»

طرحتُ سؤالي عاقدًا ذراعي، مقلبًا النظر بين توأمينا لتفحص حركة أجسادهما.

أجاب (سعد) بنظرةٍ كستها الفظاظة .

«عامل هندي اسمه (رشاد خان)، وقد عاد لبلاده منذ أن أغلقنا المنتجع».

تحدث (مسعود) بشكلٍ مفاجئ وصوتٍ عالٍ، معدّلًا جلسته: «وجدنا فتاةً مخطوفةً جريحةً في منتجعكم المهجور، مع بعض الدلائل التي أشارت لاستعمال المنتجع في ممارساتٍ غير قانونية». فتحَ التوأمان أعينهما بذهول، واعتدلا في جلستهما بعد نزول الخبر عليهما بغتة... ليبتلع (سعد) ريقه قائلا:

«لـ.. لـ... لم نكن نعلم بهذه الممارسات والله، أ.. أؤكد لكم أن هذه المرة الأولى التي نسمع فيها عن هذه الممارسات»

«ماذا عن النجمة الخماسية؟»

تدخلتُ بسؤالي واقفًا من مكاني، ليدب الرعب في قلوبهما أكثر... والهلع أطار أعينهما من مُقَلها.

«أي نجمة خماسية؟ والله لا نعلم أي شيء مما تتحدثون عنه ولا نفهم، أطال الله في عمركم»

قال (فهد) وعيناه المرتعدتان تطلبان الشفقة مني. نظرتُ لـ(مسعود) وأومأتُ له ليطلق تنهيدةً عميقة ، ويحرك نظره للتوأمين قائلًا:

«حسنًا، شكرًا لكما..... تستطيعان الانصراف الان وكونا مستعدين لاستدعائكما في اي وقت»

صافحانا بخوف وغادرا غرفة الاستجواب على عجل، لأتحرك في أنحاء الغرفة والغموضُ يغزو رأسي.

«ما رأيك؟» ،سألني.

«مجرد ورثة أغبياء لا يد لهم بالموضوع، لنتحقق فقط من أمر (رشاد) إن كان غادر البلاد فعلًا»

أجبتُهُ أخذا نفسًا عميقًا .

رفعَ جهازه اللاسلكي ونطق:

«(محمد) ابحث لي عن عامل اسمه (رشاد خان)، كان تحت كفالة (السيد حسام) ثم ابنيه من بعده».

«عُلِم سيدي، لقد حضرت الأستاذة (نجلاء) مديرة دار الأيتام... هل ندخلها؟»

«دعها تدخل»، أجابَ وترقبنا دخول ،(نجلاء)، وكلنا أمل أنها تمتلك الجواب لكل شيء... أو مفتاحه على الأقل .

دخلت (نجلاء) الغرفة لكن عطرها النفاذ دخل قبلها، مديرةً بحق وحقيق... بهذا العطر ذي الرائحة العريقة الفاخرة. بقامتها الطويلة ونقابها الذي خبأ وجهها ليُظهر عينيها المكتحلتين اللتين تحدثتا وحدهما عن كمية الحنان والعطف الذي تحمله هذه المرأة.... بجفنيها المترهلين. دقاتُ قدمها على الأرض زادت لهيب التوتر في الغرفة، لتجلس مقابلنا وتضع حقيبة يدها الحمراء على الطاولة... وتسقط عيني على عروق يدها التي أوحت بكبرها في السن واجتيازها الخمسين على الأرجح.

اعتدل المقدم (مسعود) في جلسته مخاطبًا السيدة:

«عُذرًا أ. (نجلاء) على إخراجك من العمل وإزعاجك، لكن الأمر في غاية الأهمية. أنا المقدم (مسعود) ومعي النقيب (أديم)»

«لا مانع سعادة المقدم أي شيء من أجل العدالة والقانون... المهم طمئناني

على (ريحانة). ما الذي حصل لها؟»

غادرت تلك الكلمات من فمها مليئةً بالقلق على (ريحانة)، وكأنها إحدى بناتها اللاتي حملتهن في رحمها يومًا ما... كما يليق بمديرة دار أيتام. أيتام، غادر أهلوهم الدنيا في صباهم دون فهمٍ منهم أو استعداد... ليرميهم القدر في تلك الدور علها تحتويهم.

«كل ما نستطيع قوله أنها كانت هاربةً من أمرٍ مفزع بإصابات في جسدها، وحالتها مستقرة الآن لكنها لا تزال غائبةً عن الوعي... الأمر مسألة وقتٍ فقط حتى تفيق. لكننا نحتاج منكِ إخبارنا كل شيء عنها، منذ أتت للدار وحتى ليلة فقدها»

قال (مسعود) وعيناه تتلهفان لسماع ما ستقوله (نجلاء).

تنهدت المديرة بعمق ناظرةً للسقف بدت على وشك سرد قصة طويلة... فاستعد كلانا مرهفين السمع.

«(ريحانة)، آه منها تلك الريحانة! وما عساي أقول عنها وهي لا تتحدث إلا قليلا؟ لكم أن تتخيلوا أني أستطيع عد المرات التي سمعت فيها صوتها، من قلة حديثها! لم تعترض على أمرٍ قط، لم يكن لها رأي في أي شيء على الإطلاق، كانت توافق ببساطة وتخفي الكثير داخلها... كانت تخفي أكثر مما تظهر. أما عن قدومها للدار فقد قدمت قبل أربع سنوات، حين كانت في السادسة عشرة من عمرها، بعد أن توفي والدها - رحمه الله – بالسرطان... ولم يترك لها في هذه الدنيا أحدًا فأتوا بها للدار»

صمتت قليلًا فسألتُها مُتلاعبًا بلحيتي : «ووالدتها؟ أعمامها وأخوالها؟».

عقدت ذراعيها ليتدلى السوار الذهبي الذي أحاط بمعصمها الأيمن، مُكمِلةً: «تلك المسكينة والدتها توفيت وهي تلدها، وتكفل أبوها بها حتى وافته المنية... ولا أقارب لها على قيد الحياة. ومنذ أتت للدار لم تتحدث كثيرًا كما

ذكرت لكم ، وأما عن اليوم الذي هربت فيه من الدار فقد كان يومًا عاديًّ جدًا..... لم نلحظ عليها اي شيء»

كادت أن تتحدث لولا أن المقدم باغتها بأسئلته: «الم تلحظوا أي تغير عليها فى الأيام السابقة لهروبها؟ توتر او قلق؟ وهل حاولت الهرب من قبل؟».

(هزت الجلاء) رأسها بالنفى قائلةً:

«أبدًا، كل شيء كان طبيعيا إلى أن حانت ليلة هروبها، انتظرت حتى نام كل رفيقاتها وهربت... ولم نكتشف حتى صباح اليوم التالي».

سالتُها ويدي تتلاعب بالنردين الأسودين في جيبي:

«متى كان ذلك بالضبط ؟»

«قبل ثلاثة أيام»

ساد الصمتُ الغرفة ، وعقولنا تحاول معالجة المعلومات التي تجر عنها، ما الذي يعنيه أن تهرب فتاةٌ بدت سعيدةً في الدار؟ وما كانت خطتها للهرب ؟

«حسنًا (نجلاء)، شكرًا لوقتك وتستطيعين الانصراف سنكون على تواصل معك إن احتجنا، نود فقط أن نلقي نظرة على غرفة ومستلزمات (ريحانة) في الدار.. هل يمكننا الآن؟»

قال (مسعود) قائمًا من مكانه لنقوم بعده ، وتقول (نجلاء) حاملةً شنطتها الحمراء:

«بالتأكيد، شكرًا لكم أنتم على جهودكم... هل لي بطلب بسيط؟»
أومأ كلانا وأوصتنا وعيناها تمتلئان رحمةً وشفقةً على تلك الفتاة: «اليس لـ(ريحانة) أحدٌ بعد الله سوانا نحن وأنتم، أرجوكم ضعوها نصب أعينكم ولا تدعوا مكروهًا يصيبها».

تحدث (مسعود) وأحسنَ الحديث :

«بالتأكيد سيدتي، (ريحانة) كجميع من تعهدنا بالحفاظ على أمنه واستقراره في هذه البلاد بعد الله... لا تقلقي وسنقوم بما في وسعنا لحمايتها».

غادرت الأستاذة (نجلاء) لكن عطرها لم يغادر، بل صال وجال في أنحاء الغرفة من قوته... غازيًا أنوفنا.

تذكرتُ وقتها موضوع لوحة المزاد لأخبر المقدم باستنتاجي، مما حرك شيئًا في خلده ليقفَ مُشيرًا لي باتباعه. دخلنا مكتبهُ وأغلقَ الباب قائلًا :

«أريدك أن تنظر لكل الأشياء التى وجدناها في المنتجع الآن، بناءً على أن اللوحة التي وجدناها لوحة مزاد. ولعلمك، المشروب الكحولي كان (شامبانيا[1])»

فكرتُ قليلًا بعد أن جلسنا لأقول: «كلها تدل على أنها حفلة مزاد، سوى رأس العنز والنجمة الخماسية. لكن علامَ كانوا يزايدون؟»

«لا تنسَ (ريحانة)»

لا لا! مستحيل ! قلتُ فاتحًا عيني على مصاريعهما:

«هل كان الملاعين يزايدون لشراء تلك الفتاة؟! أنحنُ أمام قضية اتجار

بالبشر؟!»

زفرَ بعمق وسألني:

---

[1] - (الشامبانيا): هو نبيذ غازي يصنع عن طريق تحفيز عملية التخمر الثانوية للنبيذ في القنينة لكي تتم عملية الكربنة. أي أنه مشروب كحولي يتم إنتاجه بتخميرالعنب وعصير العنب، سمي على اسم منطقة (شامبان) - (أردان) في (فرنسا).

«هل قرأت شيئًا عن النجمة الخماسية؟»

«لا بصراحة، لكني أتذكر أنها رمز لعبدة الشياطين»

«هكذا أنتم دائما، تعتقدون أنكم أذكى من الجميع وأدرى بكل شيء فلا تبحثون. أما أنا فقد قضيتُ ليلة البارحة أبحثُ عن مدلولاتها وكل ما يخصها وكيف ابتدأت وأنصحك بعمل الشيء ذاته. المهم أني وجدتُ معلومةً مرعبة، عُباد الشياطين دائما ما يضحون بأرواح بشرية قربانًا للشيطان»

بعيدًا عن تهكمه وكلامه المستفز بالبداية، كيف نسيتُ هذا الأمر تماما ؟! القربان الذي يقدمه عبدة الشيطان! .

«إذا نحن أمام أمرين، إما أن تكون مخطوفةً من قبل تجار بالبشر... أو حفنة من عباد الشيطان»

قلتُ ليومئ بملامحه الحادة، قبل أن يقطب حاجبيه ويقول:

«فإما أن الفتاة كانت معرضةً للبيع كالجواري، أو للذبح كقربان لشيطان معبود... وكلا الأمرين صعبٌ مُفزع... فلنتمنَّ أن تكون استنتاجاتنا خاطئة ولا تكون تلك اللوحة لها شأن بما حدث للفتاة».

لم يعلم أحدنا ما يقول، بعد إدراكنا لبشاعة الأمر الذي نواجهه.... ساعدنا يا الله وأرشدنا لطريق الحقيقة.

طرق أحدهم باب المكتب وأُذِن له بالدخول، ليفز كلانا من مقعده بعد خبر العسكري الذي نقله لنا... حان الوقت لتنتهي المهزلة الشيطانية.

«القد أفاقت (ريحانة) يا سيدي!»

أفاقت وأفقنا معها من هذا الكابوس المريع، ركبنا أقرب سيارة شرطة مع أحد العساكر وتوجه بنا إلى المستشفى... حان الوقت . لتجيب الضحية عن كل

تساؤلاتنا. أهي طائفة شيطانية؟، أم متلاعبون بالبشر؟... أم تحليلٌ آخر لم نضعه بالحسبان.

«ألا تشعر أن ردة فعل (نجلاء) غريبة بعض الشيء ؟ أن تتعامل مع هروب فتاة بهذا البرود»

تحدث (مسعود) من المقعد الأمامي، بينما تعمقت عيني في السيارات والشوارع خلفه.

«لا أبدًا، أعتقد أن هروب الأيتام من الدار أمر طبيعي يحدث لهم كثيرًا»

أجبتُ دون أن أحول نظري من النافذة، وعقلي يهيئ ويرتب الأسئلة التي سنطرحها على (ريحانة)... التي تغير كل شيء منذ قابلتها.

داس العسكري على المكابح بقوة حين وصل لبوابة المستشفى اشتعل قلبي ونحن ننزل من السيارة ونهرع للداخل... وكأن ضحيتنا ستموت بعد دقائق أو تتبخر في الهواء إن لم نسرع لحل الغموض وفك الشفرة.

ما هذا؟ صوتُ صراخ فتاةٍ ضج به الرواق! ولِمَ تجمع الممرضات والأطباء على غرفتها بآخر الرواق ؟! لم يكُن منا إلا أن ركضنا وقلبي يقفزُ مع كل ركضةٍ تجاه غرفتها، وليته توقف واطمئن حتى عندما وصلنا ورأيناها...تصرخُ وجسدها يرتعشُ بعُنف! تفحصتُ ما يجري لها ولجسدها من غير حولٍ مني ولا قوة... وهي تصرخ محرّكةً رأسها يمنةً ويسرةً وعيناها مغمضتان. حقنتْ إحدى الممرضات وريدها الأيمن بإبرةٍ اعتقدتُ أن بها مسكّنًا، واستمروا بتثبيتها ومحاولة تهدئتها حتى اختفى صراخها تمامًا.... وارتمى جسدها على السرير.

«ما الذي حدث لها؟»

سألتُ الطبيب المسؤول عن حالتها بعد خروجه من الغرفة، وقد غطت المسكينة في نومٍ عميق... لينظر له المقدم منتظرًا الإجابة.

«قبل دقائق عديدة كانت بخير، وتتحدث بشكل طبيعي جدًّا وقد شربت بعض الماء إلى أن بدأت بالصراخ قبل قليل وبدأ جسدها بالارتعاش ولا نملك سوى تفسيرٍ طبي واحد... فاجأتها صدمةٌ عصبيةٌ مفزعة. وهذا يحدثُ أحيانًا لضحايا الخطف بعد الإفاقة، حين يتذكرون ما مروا به. وقد أعطيناها منومًا ستفيق منه بحلول الليلة إن شاء الله».

انتهى من سرده العلمي وحول (مسعود) نظره الحاد للعسكري الواقف على غرفتها، ليوجه سؤاله :

«أكانت عينك عليها طوال الوقت؟ لم يدخل لها أحد؟»

ضرب العسكري تحيته العسكرية وابتلع ريقه ثم أجاب بتوتر. وقد امتلأ قلبه رعبًا من نظرات المقدم:

«نـ..... نعم يا سـ..... سـ.... سيدي. لم يدخل لها أحدٌ سوى الممرضين وقد فتشتهم تفتيشًا كاملًا قبل الدخول».

قال (مسعود) مُخاطِبًا الطبيب:

«أريد رؤية كاميرات المراقبة»

قال الطبيب وهو يشير بيده:

«بالتأكيد سيدي، تفضلوا»

مشى (مسعود) دون أن ينطق بحرف ومشيتُ معه، ليأخذنا الطبيب لمدير المستشفى والذي أخذنا بدوره لغرفة المراقبة... لنبدأ عملية التفحُّص للساعات التي سبقت انهيار (ريحانة) العصبي. دقيقةٌ تتبع الأخرى، ولا أثر لأي شخصٍ مريب دخل عليها الغرفة... سوى الممارسين الطبيين.

زاد (مسعود) من عبوسه والتفّ بجسده للمغادرة، متجهّمًا:

«خذ ملف القضية من العسكر في القسم، وأرجوك أرجوك... لا اريد ان أراك حتى تأتي بما هو مفيدٌ حقًّا. سأذهب أنا لتفتيش غرفة (ريحانة) في الدار».

أتفهمُ عصبيته تلك ولا أبررها، أفهمُ شعور أن تصل لطرفِ خيطٍ كان سيختصر الكثير من الجهود... ليُفلِتَ منكَ بكل بساطة. تماما كذاك التائه العطش في الصحراء القاحلة، راكضًا نحو الواحة ليصِلَ لمزيدٍ من الرمال... ويستمر بملاحقة سراب الواحة حتى يسقط مغشيًّا عليه. لكن القضية ما زالت في أولها يا سيادة المقدم، من المبكر جدًّا أن نيأس!

اللعنة، لا أستطيع سؤاله عن العم (بركات) وقصته الآن! لا مشكلة، سأتوجه لأحد عساكر القسم ولن يخيبوا أملي. ألقيتُ نظرةً خاطفةً في طريقي لمغادرة المستشفى، على فتاتنا التي ارتمت على السرير من غير حولٍ ولا قوة بشعرها الأملس المتناثر على الوسادة... غاطّةً في نومٍ عميق بعد أن اندفع المهدئ لشرايينها.

علي أن أعرف سر هذا الكهل (بركات)... من المستحيل أو الصعب جدًّا أن يكون ذكره لـ (صاحب العباءة البرتقالية) محض صدفة! خرجتُ لأجد المقدم مكفهرًّا وجهه مقطبًا حاجبيه في سيارة الشرطة، وكأن هذا ما ينقص ملامحه الحادة... المزيد من العبوس والغضب. ركبتُ دون أن أنبس ببنت شفة، أشد ما يحتاجه الآن الخلو بنفسه دون أن يقطع خلوته أحد. تحرك العسكري شاقًّا طريقه مجددًا بطرقات المدينة الهادئة، وعقلي منشغلٌ بمحاولة ربط الكهل بكل ما حصل... كيف لعجوز خرف أن يعلم بصاحب العباءة؟ أسمع تلك الكلمة من أحدهم وأتى يرددها بمنتصف الليل في الوقت ذاته الذي غادرنا فيه القسم؟

فتحَ (مسعود) بابه سريعًا بمجرد وصولنا للقسم ليغلق الباب بعنف، لم يصعد درج القسم ولم أكترث لذلك... هرعتُ صاعد للدرج ولم ألبث أن اقتنصتُ أحد العساكر الذي ضرب التحية لي.

«(بندر)، هلا أعطيتني القليل من وقتك ؟ أريد سؤالك عن بعض الأمور»

«بالتأكيد سيادة (النقيب)، تفضل. وهذا ملف القضية بكل التفاصيل والصور»

قال مناولًا الملف الأخضر المنتظر . أشار لي بالجلوس عند المكاتب، ليجلس أمامي مستعدًّا للإجابة عن أي سؤال ابتسمتُ قائلًا :

«العم (بركات)، أخبرني كل ما تعرفه عنه... وأرجوك لا تترك حتى التفاصيل الصغيرة»

تنهد بعمقٍ واعتدل في جلسته قبل أن يسرد:

«آه يا (بركات)، ذاك الكهل المسكين الذي يتجول يوميًّا بالشارع على غير هدى من أين أبدأ لك؟ البعضُ قد يسميه بالمشرد، لكن هذه التسمية خاطئة تمامًا... أتعلمُ أنه رجل أعمال ثري؟»

قطبتُ حاجبيّ بعد معلومته تلك كيف يكون هذا العجوز الفاقد لعقله - كما وصفوه - رجل أعمال ثري؟ وكأن (بندر) توقع استغرابي فسارع بالحديث:

«نعم كما سمعت بالضبط، يملك العديد من المتاجر والمشاريع هنا في (الشعيبة) و (مكة). وما زالت تعمل على أكمل وجه، لكن صديقًا وفيًّا له يدعى (نعمان)... يقوم بإدارة تلك المشاريع بعد أن فقد العم (بركات) عقله، أعلم أنك تتساءل ما الذي قاد رجل الأعمال الثري هذا لفقدان أغلى ما يملك، وسيأتيك الجواب»

سكت للحظات وكأنه يحاول اختبار صبري، لكن يبدو أنه لا يعرفني جيدًا... أكمل قائلًا:
«كان للعم (بركات) ابنة تدعى (أمنية)، وقد رزق بها بعد محاولاتٍ طويلة مع زوجته... وزيارات كثيرة متعبة لعدة أطباء خصوبة حتى يئسا من الإنجاب وكأن

الله أراد أن تتكرر معجزة زكريا، ليرزقهما الله بابنتهما (أمنية) قبل ثلاثين سنة»

قاطعتُهُ سائلًا قبل أن يكمل: «كم عمر (بركات) الآن؟»

أجاب:

«سيصعقك الجواب، ليس طاعنًا في السن كما يبدو... يبلغ من العمر سبعين عامًا. المهم أنهما أحبا تلك الابنة أيما حب، وأعطاها حنان العالم بأكمله... ويشاءُ الله أن يقبض روح زوجته بعد أن أكملت ابنتهما العاشرة من عمرها. ليتكفل (بركات) ويتعهد على نفسه أن يكون لها الأب والأم واستمرت حياتهما باستقرار وسلام حتى دخلت (أمنية) العشرينات... وهنا ابتدأ جحيم (بركات). نشبت الخلافات بينهما كأي أب مع ابنته المراهقة التي تريد أن تعيش حياتها، إلى أن هربت للخارج تاركةً له ورقةً تطلب فيها أن يسامحها على ما فعلته... وأن لا يبحث عنها أبدًا. وجن جنونه وقتها وابتدأ يفقد عقله تدريجيًّا حتى أقنعته أوهامه أن ابنته مختطفة، ومنذ ذلك الحين حتى الآن وهو يتيه في دوامات هلاوسه... ويأتي للقسم يوميًّا ليقدم بلاغ اختطاف ابنته»

انعقد لساني وعقلي يحاول معالجة ذلك الكم الهائل من المعلومات، أما قلبي فقد انفطر للأب المسكين الذي انتظر دهره كله... لينجب ابنةً تهرب منه وتغادره وحيدًا وتتسبب في جنونه أيضًا. اللعنة، ما أقسى هذا العالم... كيف غُسِل دماغ المراه البلهاء لتهرب من كنف أبيها للغربة القاسية ؟

ناداهُ قلبُ الأم وهـو معفّـرٌ

ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر؟

تذكرتُ تلك القصيدة، تلك الأبيات المؤلمة التي سطرت الحكاية الأليمة للابن الذي أغراه رجلٌ بالمال في مقابل أن يقتل أمه.... فقتلها وأخرجَ قلبها ومضى في طريقه للرجل. وفي الطريق تعثر الغلام فسقط، ونطق قلب الأم قائلا الأبيات السابقة.

«ولم يظهر لها أي أثر؟»

هز (بندر) رأسه بالنفي وسرح بتفكيره، وكأن سرده للقصة أعاد له ذكريات مؤلمة.

«شكرًا جزيلًا (بندر)، كنتُ أحتاج هذه المعلومات الثمينة. هلا أعطيتني عنوانه؟»

قلتُ واقفًا من مكاني ليضرب التحية العسكرية ويودعني، بعد أن عرفتُ مكان سكنه. تحركتُ للخارج حاملًا ملف القضية، وقلبي يرسل آلامه اللعينة ونغزاته... ماذا عن قلبك يا (بركات)؟ ركبتُ سيارتي وعقلي يحاول ربط (بركات) بأيٍّ مما حدث، لم عساهُ يذكر (صاحب العباءة البرتقالية) ويظهر في الليلة ذاتها مع ضحيتنا (ريحانة)؟ وجدتُ نفسي أقودُ السيارة نحو مسكنه، لا أعرف ما سأقول له بالضبط... المهم أن علي أن أتحدث معه لعلي أصل لشيء.

ها نحنُ أولاء، ما شاء الله لا قوة إلا بالله... فيلا فاخرة أشبه بقصر. تحققتُ من رقم البناية لتقع عيني على محدودب الظهر القادم من بعيد، يسانده أحدهم... حسنًا اتضحت لي ملامح الكهل (بركات) أخيرًا. ركنتُ سيارتي وخرجتُ مسرعا لأساعده، أهو تائهٌ كعادته؟

«لا عليك يا (بركات)، كل ما عليك الآن هو أن ترتاح»

قال الرجل الذي كان يسانده ويقوده لبيته، ليتوقف الكهلُ عند رؤيتي ويتأملني بعينيه اللتين امتلأتا ماءً أزرق... وصافحتُ الرجل سريعًا لنمشي معًا نحو فيلا (بركات).

«النقيب (أديم أحمد) من المباحث الجنائية»

قلتُ مُظهرًا بطاقتي للرجل الذي حمل وجهه طيبةً وقبولًا وتقدمًا في العمر، لينطق ويده ما زالت تسند (بركات) متبسمًا :

«(نعمان) صديق (بركات) تفضل معنا للداخل سيادة النقيب»

إذًا هذا هو صديقُ (بركات) الذي يدير ثروته... آهٍ كم يحتاجُ الإنسان صديقًا وفيًا كـ(نعمان)! كان يفوقُ (بركات) طولًا، بجسدٍ حافظ على صحته رغم تقدمه الواضح في السن... بشيبه الذي انتشر في لحيته المحددة باحترافية وشعره الذي اهتم بعنايته. تحدث ماله في لباسه بشكلٍ معقول، بثوبه البني وساعة معصمه وشماغه الأبيض المزخرف... ورائحة عطره الفاخرة.

«لحظة، لحظة، على أن أذهب لمركز الشرطة الآن... الأوغاد أخذوا أمنيتي»

نطقَ (بركات) ملتفًا. بجسده محاوِلًا العودة من حيث أتى معه (نعمان)، إلا أن الأخير منعه قائلًا:

«لا عليك يا (بركات) لا عليك، لنرتح الآن قليلًا»

أجبره على التحرك بلطف ومشيتُ معهما، ليُفَتَح باب الفيلا فجاةً ويخرج منها أحدهم على عجل والنوم قد أفسد شعره وملامح وجهه... ولم يلبث أن تفاجأ بنا. بدا من إحدى الجنسيات الآسيوية، بنيه المسحوبتين.

«كم مرة علي أن أقول لك أن تلازمه أينما ذهب ولا تدعه در عينيك!»

أفزعني صراخه على العامل وارتأيت الفزع في عينيه هو الآخر، ول محاولًا تبرير موقفه بلهجته الأجنبية:

«معذرةً سيدي (نعمان)، غفت عيني بجواره قبل قليل وسرعان ما غادر»

هز (نعمان) رأسه بامتعاض وخيبة أمل داخلًا حديقة الفيلا ويده لا تغادر صديقه... وكأن صداقتهما تتشبث بها وتعتمد عليها... حتى إذا ما أفلت صديقه تركها تنقطع.

«(نعمااان) أتتذكر ما حدث في (أفغانستان)؟»

قال (بركات) متبسمًا وهو ينظر في وجه صديقه، وعيناه اللتان امتلأتا بالمياه الزرقاء تغوصان في أعماق (نعمان). قهقهَ (نعمان) وهو يربت على كتف (بركات)، لتسقُطَ دمعةٌ من عينيه رغمًا عنه... حاول منعها لكن الذكريات كانت أقوى منه.

«وكيف لا أتذكر عندما كنتَ تنشر البركات هناك يا (بركات)؟»

كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها ضحكة الكهل (بركات)، تبدو نكتة قديمة بين هذين الصديقين... حركت ذاكرة العجوز المسكين الذي أصابه الخرف.

«معذرةً سيادة النقيب إنه موضوع قديمٌ بيننا لن ننساه مهما حيينا... حتى أصبحنا نردد هذه العبارات بين الفينة والأخرى. تفضل معنا ونعتذر عن تأخيرك»

تحدث (نعمان) ماسحًا دموعه، اكتفيتُ بالإيماء متبسمًا...

بينما مشينا في حديقة القصر التى ظهر الاعتناء بأشجارها وزهورها والعشب الذي توسطها توقفت أمام المدخل سيارةٌ فارهة ألمانية الصنع، أثبت الغبار المتراكم حولها هجران صاحبها لها فترة طويلة. دخلنا للفيلا التي توسطها درج مستدير، بتصميم أوروبي فاخر.... ليستقبلنا أحد الخدم والذي بدا مرتعبًا من رؤية (نعمان) وكأنه يعلم أنه سيوبخه على إهمال (بركات) تمامًا كما حدث.

التقطت عيني أدق تفاصيل الفيلا الراقية، كيف لإنسان أن يعيش وحده بمكان كبير كهذا؟ لابد وأن يشعر بالوحشة والوحدة، حتى لو امتلأ بالخدم والحشم وكان مجهزًا بأرقى وأغلى الأثاث والكماليات المخملية... كما يُقال: «جنة بدون ناس ما تنداس». قادنا (نعمان) لغرفة المعيشة، عُذرًا... إحدى غرف المعيشة فحسب اعتقادي أن فيلا بهذا الحجم ستحوي الكثير من الغرف. أجلسَ (بركات) بهدوء على كرسيه المتأرجح وغطى قدميه المنتفختين ببطانية صغيرة. جلسنا أنا و(نعمان) على مقربة منه في الغرفة الفسيحة البنية الأثاث،

أمام التلفاز العصري الكبير.

«كيف يمكننا مساعدتك سيادة النقيب؟»

سألني بعد أن أراح ظهره على الأريكة، عاقدًا ذراعيه بابتسامةٍ حافظت على رونقه.

«أود فقط أن أسأل العم (بركات) بعض الأسئلة، أنا النقيب (أديم أحمد)... كيف حالك يا عم؟»

قرَّبت جسدي منه أكثر وهو يتمعن بوجهي صامتًا، وكأنه يحاول تذكري. اكتفى بالإيماء فقط وعاد للتحديق بي، ليقاطع الجلسة الخادم الذي مد لي فنجانًا من قهوتنا لتغزوا رائحة الهيل أنفي... أخذتُهُ شاكرًا ليباشر (نعمان) بعدي ثم يسكب فنجان (بركات) ويقف بجواره ليشربه قهوته كم هو قاس شعور الضعف بعد القوة، الهرم والشيب بعد الشباب... من أصعب ما يواجه الإنسان هو شعور العجز والضعف للقيام بالمهام اليومية.

«أريد أن أسألك من هو (صاحب العباءة البرتقالية) الذي ذكرته ذاك اليوم؟»

فتحَ عينيه على مصاريعهما وأمسك كم ثوبي بقوة، يبدو أني حركت شيئًا في ذاكرته... جيد! سألني باهتمام:

«هل رأيته أنت أيضًا؟»

«لا، لكن يبدو أنك رأيته... من هو بالضبط؟»

أفلت كم ثوبي بعد أن فقد اهتمامه بي ليقول ناظرًا للأمام:

«كانت أمنيتي الوحيدة وأخذوها مني، اللهم لا اعتراض على قضائك... أنت أعطيتها لي وهم أخذوها... رب أعِدها لي وأقر عيني برؤيتها سالمة»
لمعت عيناه معلنتين انهمار الدموع بعد قليل، لم أكن لأدعه يفلت بالذكريات

والوهم فأسرعتُ قائلًا:

«عليك أن تساعدني وتخبرني عن (صاحب العباءة البرتقالية)»

لم يلتفت لي هذه المرة ولم يُجب، ظلّ ناظرًا للأمام والخادم يسقيه قهوته بيده... كدتُ أفقد الأمل حتى التفت لي فجأة وقال بهمس:

«سأخبرك باسمه لكن إياك أن تخبر أحدًا»

وضع إصبعه على فمه وأومأتُ له، ليكمل:

«اسمه النقيب (أديم أحمد)»

اللعنة، يبدو أن (مسعود) كان محقًّا... هذا الكهل المسكين كان يهذي عند ذكره لـ (صاحب العباءة البرتقالية) بالمضيعة الوقت!

هز نعمان رأسه بأسًى قائلًا:

«حاول قبلك الكثيرون سيدي النقيب، يؤسفني أن أقول وأنا صديق عمره أن القلم مرفوعٌ عنه... ولا أحد يلومه بعد أن هربت ابنته (أمنية)... أعتقد أنك على دراية بما حدث»

تنهدتُ بعمق قائمًا من مكاني، مادًّا يدي لمصافحة (نعمان) قائلًا:

«نعم نعم أعلم، شكرًا لوقتكم ونعتذر عن الإزعاج»

قال (نعمان):

«فرصة سعيدة سيادة النقيب، ابقَ معنا لتناول الغداء»

أجبتُ مصرًّا:
«المعذرة فلدي الكثير لأنجزه، شكرًا على هذه الدعوة الكريمة»

صافحتُ بعدها العم (بركات):

«نراك على خير أيها العم الطيب، شكرًا لك»

ابتسم الكهلُ وهو يصافحني بحرارة، وكأنه سعد برؤيتي رغم عدم معرفته بي.

غادرتُ الفيلا بخيبة أمل بعد أن اعتقدتُ أن (بركات) هو مفتاح اللغز ما هذا الغباء؟ كيف لعجوز خرف أن يكون حلًّا لكل هذه أمامنا، فقط لأنه ذكر كلمات ربما سمعها من مسلسل تلفزيوني... ليقول لي إن (صاحب العباءة البرتقالية) هو (أديم المصائب التي أحمد) أدرتُ محرك سيارتي بغضب وحيرة، دون أن أتحرك بها شبرًا واحدًا... قبل أن أعرف وجهتي. ماذا الآن؟ كان هذا أصعب شعور يمر علي في سنوات عملي بالسلك الأمني، الانتظار لحدوث شيء ما... هذا الشعور يقتلني بحق!

ابتدأتُ السير في الشوارع حين تيقنتُ أن عليَّ تعليق صور القضية في الجدار، وإكمال لوحتي والتحديق بها حتى الوصول لنتيجة....

أنا في أمس الحاجة للقهوة أيضًا أو الشاي. شعرتُ بالنعاس أثناء القيادة كما جرت العادة في وقت الضحى، وكان جسدي مرهقًا بحق وعقلي محترقًا من شدة التفكير... لكن كل هذا لم يكُن ليوقفني عن استمرار... خصوصًا عند تذكر تلك المسكينة بالمستشفى.

وصلت لفندقي وهرعتُ للداخل حاملًا ملف القضية، ليستقبلني موظف الاستقبال بابتسامته المزيفة... أومأتُ له سريعًا وصعدتُ لطابقي واتجهتُ سريعًا للغرفة.

ها نحنُ ذا... نظرتُ للكلمات المعلقة التي كانت في أمس الحاجة لصور توضيحية. أغلقتُ باب الغرفة خلفي وخلعتُ ثوبي، بدأ بتوزيع وتقسيم الصور سريعًا... كطفلٍ حصل على لعبة جديدة لتوه.
عكَّر صفو حماسي رنين هاتفي أجبتُهُ مقطّبًا حاجبي حين رأيت الاتصال من

مجهول.

«ألو»

«(أديم) معك المقدم (مسعود)، لقد توقف قلبُ (ريحانة) عن النبض وفارقت الحياة»

ماذا الآن؟

لقد استنجدت بي، لقد طلبت المساعدة مني، ارتأيتُ في عينيها التضرع والتوسل... والآن تموت تحت أعيننا وحراستنا! قدرُ الله بلا شك، لكني أشعر أني خذلتها خذلانًا عميقًا... على الرغم من أني لم أتعهد بحمايتها لكن قلبي فعل... وقد تعهد كل من بالسلك الأمنى بذلك... وأقسمَ أيضًا. ها هي ذي تدفع بسريرها وقد توقف قلبُها عن النبض بعد أن غادرت روحها جسدها، صاعدةً لمن هو أرحم وألطف ممن رأتهم في هذه الدنيا... تخيلتُ أن تصحو فجأةً وتخبرنا بكل شيء. بمعجزةٍ ما يُنطِقها من أخذ روحها ويوقظها، فقط لتشرح لنا كل شيء... ثم تعود جثةً هامدة تمامًا كما حدث مع قتيل بني إسرائيل.

«ما الذي كنتَ تفعله بالضبط مجددًا؟! كيف استطاعوا الدخول لها وتسميمها وأنتَ واقفٌ هنا؟»

صاحَ (مسعود) بالعسكري الواقف، والذي بدا الارتعاد في عينيه.

«أقسم لك يا طويل العمر أن غرفتها لم تغادر عيني للحظة، ولم يدخل عليها سوى الممرضين»

برر موقفه وظل (مسعود) يحدق به تحديقًا عنيفًا، شد قبضتيه وبدا على وشك ضربه... لولا أني سحبته بعيدًا وحاولتُ تهدئته:

لنتحدث مع الممرضين الذين تناوبوا تمريضها، لقد فعلنا ما بوسعنا والأعمار بيد الله. لم نذهب لغرفتها في الدار حتى الآن، علنا النتحدث نجد شيئًا»

غطى أنفه وفمه بيده وهو يحدق بي ،بعنف، لكن ملامحه الحادة لم تكُن لتهز شعرةً مني... الجلوس وندبُ الحظ لن يجدي.

«لا شيء أيها النقيب، ذهبتُ لغرفتها وقلبتُها رأسًا على عقب... باحثًا عن أي شيء قد يرشدنا أو يدلنا. لا شيء!»

لم يكُن لدي الطاقة لنشر الإيجابية والتفاؤل، ليس الأمر وكأنها القضية الأولى المعقدة التي يخوضها... لقد وصل لرتبة (مقدم) بحق الله! التزمتُ الصمتَ فقط، ناظرًا لتلك الزهرة التي قطفوها بلا رحمة... الريحانة. يدفعونها بعيدًا وجسدها النحيل الحنطي مرتمٍ على السرير، منتظرًا التراب الذي سيواريه بعد سويعات... وسيكون حتمًا أحن عليها من هذا العالم.

«هل من شيء آخر أستطيع مساعدتكم به سعادة المقدم (مسعود)؟»

تساءل ضخمُ الجثة الذي لم يكُن سوى مدير المستشفى (رائد)، والذي استقبلنا كلما دخلنا المستشفى كما وجب عليه... محاولًا بذل ما بوسعه للمساعدة.

تحدث (مسعود) بنبرةٍ غطاها الأسى، متجاهلًا (رائد):

«ما يحزنني ويغيظني بشدة أنهم استطاعوا الوصول إليها هنا، ياللعار... كيف يقتلونها تحت أعيننا؟!»

نظر (مسعود) أخيرًا لـ (رائد) قائلًا وهو يشير للعسكري:

«علينا أن نتحرك أسرع منهم، سيُدخِل العسكري الممرضين حسب الترتيب الذي دخلوا به على (ريحانة)... لن أتحرك شبرًا من هنا... سنقوم بالاستجواب بغرفتها»

أومأ المدير برأسه قائلًا وهو يغادر:

«بالتأكيد سأكون موجودًا في مكتبي لأنهي بعض الأشغال... إن حتجتم شيئًا»

حولتُ نظري للمقدم لأرى التوعُّد في عينيه الحادتين، كأنه يقول لهم أيًّا كانوا: «هلمّوا إلينا فليس لدينا ما نهابه، نحن أبطال السلك الأمني الذين أخذوا على أنفسهم القَسَم». كان من الذكي استجوابهم في غرفة (ريحانة) لزيادة التوتر

والضغط، دخلنا الغرفة بعد خلوها من الأطباء والممرضين... وأغلقنا الباب خلفنا.

تنهد (مسعود) بعمق متلاعبًا بشاربه:

«لا خيار أمامنا سوى الضغط الشديد عليهم، حسنًا؟»

أومأتُ له وأشار لرجل الأمن عبر الزجاج الفاصل بين الغرفة والممر، قبل أن يهرع أحد أفراد الطب الجنائي للعسكري ويناوله كيس أدلة جنائية... محدثًا إياه ببعض الكلمات. أومأ له العسكري وهرع للداخل معه، مناولًا الكيس للمقدم قائلًا:

«سيدي، لقد سقطت هذه الورقة من كُم قميص الضحية»

أما تراه عيني حقيقي؟! اللعنة، إنها نجمة خماسية! رُسِمت على الورقة بما بدا لي أنه دماء، أهذه دماء العنز ذاتها؟

«تحققوا من المادة التي رُسِمت بها النجمة بعد رفع البصمات بالتأكيد، ولو أمكن فلتقوموا بمقارنة عينة الحمض النووي مع الماعز الذي وجدناه بمسرح الجريمة! المهم أن تفعلوا كل ما بوسعكم مع هذا الدليل المحسوس الذي أتانا على طبق من ذهب»

أعطى (مسعود) تعليماته وما كان من فرد الطب الشرعي سوى الإذعان، ليقول للعسكري قبل مغادرة الغرفة أن ينتظر قليلًا قبل إدخال الممرضين. نطقتُ بحيرة:

«أن تهددنا الطائفة بهذا الشكل الصريح أمر جنوني للغاية، أي جرأة يمتلكونها بوضع تلك الورقة في لباسها؟!»

شد (مسعود) فكيه وقبضتيه قائلًا بحنق وهو يشير للعسكري:

«لا أحد يعبث مع رجال الأمن، نقطة على السطر»

توالى الممرضون كل على حِدَة ابتداءً من (إيمان)، لنصل معهم جميعًا للسؤال المهم ذاته:

«هلا أخبرتني بكل ما فعلته منذ دخولك الغرفة، ولا تترك أي تفاصيل»

الممرضة (إيمان):

«كنتُ أول من أدخلها الغرفة من العناية المركزة مع الممرضة (جيلينا)، وبعد وضعها في السرير لم أعد لها إلا حين ابتدأت بالصراخ وكنتُ أنا من أمدها بقارورة الماء حين أفاقت»

الممرضة (جيلينا) بلكنةٍ آسيوية:

«كنتُ أنا الممرضة المسؤولة عنها، ودخلت مرتين لوضع علبة المغذي الجديدة... ومرةً لتخفيف تدفق المُسكن. ومرة للاطمئنان عليها وقت صراخها»

الطبيب (رامز):

«أنا الطبيب المسؤول عن حالتها وقد أشرفت على علاجها حتى استقرت حالتها، وأتيتُ لرؤيتها حين أفاقت مفزوعة»

الممرض (عمار):

«دخلتُ عليها مرةً واحدةً فقط حين صاحت بأعلى صوتها، وساعدتهم في تهدئتها وتثبيتها حتى حقنوها بالمهدئ»
لا شيء آخر مهم، بقية أجوبتهم بدت طبيعية بالنسبة لي ولـ(مسعود)... وهذا لا يعني تبرئتهم بالكلية ولا توجيه أصابع الاتهام لهم. حتى عند سؤالهم عن ورقة النجمة الخماسية أنكروا معرفتهم بوجودها قائلين إن أحدهم لم يرها.

«ما رأيك؟»

سألني (مسعود) بعد أن غادر (عمار) الغرفة، قائمًا عن كرسيه ناظرًا من النافذة المطلة على الشارع.

«لا أملك رأيًا عن أي منهم حتى الآن، لكن لابد أن أحدهم سمَّمَ الضحية»

أجبتُ وأنا أتأمل السرير الفارغ الذي غادرت صاحبته الحياة.

«أترى يا (أديم)؟ أختلف معك هنا خصوصًا بعد أن تحدثت الممرضة (إيمان)... ماذا لو كانت قارورة الماء مسمومة حين أحضرتها (إيمان)؟»

آه، كيف لم أفكر بهذا؟ ما أدهاك أيها المقدم!

«لذلك سألتها من أين أحضرتها وبدا سؤالي غبيًا، تقول إنها كانت أمامها على الطاولة... علينا أن نتتبع تلك القارورة ونركز عليها هذه المرة عن طريق الكاميرات»

«هذا لو كان السم قادمًا من القارورة ولم يُحقن بعلبة المغذي أو المسكن، لكنه احتمال وارد»

تحركنا لغرفة المراقبة برفقة مدير المستشفى وطلبنا من المسؤول إعادة الشريط للوراء، لحين إفاقة (ريحانة)... وعند وصولنا لتلك اللحظة رأينا (إيمان) تأخذ القارورة بالفعل من على الطاولة. عُدنا للوراء قليلًا حتى اختفت القارورة من الطاولة، قدمنا التسجيل ببطء هذه المرة حتى اكتظ عدد كبير من الممارسين الصحيين أمام الطاولة بعد تسجيل حضورهم... مما أدى لتغطيتهم لها بالكامل. وحين انصرفَ معظمهم كانت القارورة قد وُضعت على الطاولة، وكأن من وضعها تلاشى في الهواء بعد اختفائهم.
أخذتُ نفسًا عميقًا وأغمضت عيني بقوة، كم هو مرهقٌ هذا اليوم... وكم هي محيرة ومعقدة هذه القضية! خاطبتُ (مسعود):

«نحن أمام مجموعة حذرة جدًّا تعلم ما تفعل بالضبط، علينا أن نسأل هؤلاء الأطباء عما إذا رأوا من وضع القارورة»

أجابني:

«بعض وما الذي يجعلك واثقًا أنهم مجموعة؟ أليس من المحتمل أن يكون شخصًا واحدًا يريدنا أن نعتقد أنه مجموعة أشخاص؟»

«معك حق»

قال (مسعود) مخاطبًا المدير (رائد):

«نودُّ استدعاء كل من ظهر في هذه البقعة في هذا الوقت، سنسألهم الأسئلة»

ظهرت ملامح الاستغراب على (رائد) قليلًا قبل أن يقول:

«بالتأكيد سعادتك، هل ستستجوبونهم هنا؟»

اكتفى (مسعود) بالإيماء، وذهب الأخير ليستدعيهم.

نظرت له سائلًا:

«أليس من الأفضل انتظار نتيجة الطب الشرعي عن مصدر السم ونوعه قبل القيام بهذه الخطوة؟»

أعاد نظره لتسجيل الكاميرات قائلًا:

«ليس لدينا ما نخسره، إن أصابك الملل أو التعب فتستطيع المغادرة وقتما شئت»

مستفز، هذا أقل ما يقال عنه... تهجمي للغاية واختياره للمفردات عنيف جدًّا. كيف يتحمله أطفاله وزوجته؟ آهخ.

بدأ الجزء الثاني من صداع الرأس وخيبة الأمل، بالتأكيد لن يلاحظ أحد شخصًا وضع قارورة ماء في الصباح الباكر... بينما يلقون التصبيحات وأعينهم نصف مفتوحة. ولِمَ يلاحظون فعلًا طبيعيًّا كهذا أصلًا؟

«عُد أنتَ إلى منزلك الآن لتنال قسطًا من الراحة و...»

غادرَ آخر شخصٍ منهم وأغلقتُ عيني اللتين شبعتا احتراقًا، باحثتين عن الوسادة والفراش... لتجعلني جملته تلك أفتح عيني. حاولتُ مجادلته إلا أنه أصر:

«هذه أوامري لك أيها النقيب، نل قسطًا من الراحة فأنت في أمسِّ الحاجة لها... لن تستطيع المواصلة هكذا»

كدتُ أعارضه إلا أننا تعلمنا جيدًا أن لا نخالف رؤساءنا في العمل، حتى إن راودنا الشك حول قراراتهم... وإلا فما الفائدة من وجودهم؟ أومأت له برأسي وغادرتُ غرفة التسجيل أجر قدمي بتثاقل، أنا فعلًا بحاجة للنوم. غادرتُ المستشفى وركبتُ سيارتي، وإلى هذا اليوم لا أعلم كيف وصلت لغرفة الفندق آنذاك... والله لا أتذكر! أتذكر أن الفندق تراءى لي وتوقفتُ في أقرب موقف، لأجر قدمي للمصعد الذي تمنيت أن أجد فيه سريري. وصل للطابق المنشود وتحركتُ لغرفتي، تلك كانت آخر طاقة في جسدي... حتى نفدت و ارتميتُ على الأريكة غاطًّا في نوم عميق.

❋❋❋❋

«أنا لستُ مستعدًّا نفسيًّا لأن أكون أبًا، مفهوم؟»

ارتفع صوتي دون إرادةٍ مني، فلطالما ضغط هذا الموضوع على وتر حساس عندي... وليس هذا تبريرًا لرفع صوتي عليها.

تسمرتْ حين صرخت عليها، وعيناها العسليتان مثبتتان على عيني. استمرت بالتحديق حتى حمحمت حلقها وعيناها تمسكان الدموع، قائلةً بنبرةٍ خفيفة:

«حسنًا، إن كان هذا ما تريده حقًا... فأعتقد أن كلًّا منا يريد شيئًا مختلفًا عن الآخر»

«بربك، أنتِ لا تعنين هذا حقًا... أرجوكِ لنغلق الموضوع الآن ولننعم بليلتنا المعتادة»

أمسكتْ ذراعي الباردة التي نالت نصيبها من الهواء والمطر، بيديها الدفيئتين الصغيرتين... من المستحيل أن أنسى مسكتها تلك ما حييت. سألت بنبرتها الهادئة:

«(أديم)، هل ستتغير وجهة نظرك هذه أبدًا؟»

«لا أعلم يا (أسرار)، لا أعلم! كل ما أعرفه أني لستُ مستعدًّا الآن، وقد لا أكون مستعدًّا السنة القادمة ولا التي بعدها»

«لا تتهرب من الجواب يا (أديم) كالعادة!»

«أتعلمين؟ قراري لن يتغير البتة، وإن كنتِ مهووسة بالأطفال لهذه الدرجة فابحثي عمن سيعطيك إياهم غيري!»

استيقظتُ فزعًا من الكابوس المرعب الذي يراودني منذ انفصلتُ عنها، وكأن الكون أقسم أن تلاحقني ذكرياتي معها ما حييت.... ذكرياتي مع (أسرار). لم يكن ذلك الكابوس سوى ذكرى تلك الليلة المؤلمة، التي رأيتها فيها لآخر مرة قبل الانفصال... الليلة التي تمنيت لو خرستُ فيها ولم ينطق لساني الذي أوردني المهالك.

كيف تعلق قلبي بتلك الفتاة ذات الشامة؟ لم قرر فجأة بعد سنوات البؤس والوحدة أن يقع بغرام تلك الممرضة ذات الأسنان المتراصة؟ لا أحد يستطيع

الإجابة عن ذلك السؤال لأن القلوب بيد الرحمن. ولأنه وببساطة، لم يتمكن أحدٌ من إجابة سؤال شيرين حين قالت:

«حبيته ليه وازاي قدرت أعمل كده؟ كان عقلي فين شكلي عملت فنفسي عملة».

قمتُ من على الأريكة التي غفوتُ عليها شاعرًا بآلام عظامي، وقد سال لعابي على وسادة الأريكة... لأرى الشمس غادرت سماء المدينة. إنها الثانية عشرة بعد منتصف الليل! يبدو أن جسدي أراد الانتقام مني على الساعات التي حرمته من النوم فيها. سقطت عني على الكلمات المعلقة على الجدار والتي لم اكمل وضع صور القضية عليها... لم أنتظر لأغسل وجهي حتى... فقط طلبت قهوة ساخنة من خدمات الفندق. بدأت بتعليق الصور وترتيب التفاصيل كُلًّا على حِدَة، أعتقد أن هذا هو الجزء المفضل عندي مع كل قضية. تراجعتُ للخلف لآخذ نظرةً كاملة على التفاصيل، دقَّ قلبي بعنف حين رأيت كمية الأشياء الشيطانية تلك... لا شيء منها يرتبط مع الآخر. نظرتُ للنجمة الخماسية التي وسموها أسفل ظهر (ريحانة)، ما هذه الوحشية والغرابة؟

(ريحانة) كانت هاربة من دار الأيتام، يذكرني هذا بشيء... على الرغم من أني استبعدت فكرة ارتباطه بالقضية إلا أن عقلي يأبى إلا أن يرجعني... (أمنية) ابنة الشيخ (بركات) كانت هاربةً أيضًا ولم يجدوها! أعلم أن الربط مستبعد لكن عقلي يُعيدني كل مرة، ماذا لو كانت الجماعة تستهدف الفتيات الهاربات؟ لن يبحث عنهن أهلوهن بعد اليأس من عودتهن، وهذا يسهل مهمتهم كثيرًا!

أفزعني الطرق على باب الغرفة، ليقول أحدهم بصوتٍ هادئ تم تدريبه عليه:

«قهوتك، سيدي»

أخذتُ قدح القهوة منه ووضعتُهُ على الطاولة، وتحركتُ للحمام أخيرًا لغسل وجهي... كيف لم تخطر هذه النظرية على عقولنا؟

لحظة، ما هذا المرسوم على المرآة؟! اللعنة، أرجو أن يكون مجرد كابوس آخر أستيقظ منه! اقتربت بحذر لأتحقق، لا، هراء!... نجمة خماسية لعينة أخرى ومرسومة بالدماء! إلى متى ستظل تطاردنا هذه النجوم المشؤومة؟ أُلصِقت ورقة تحتها كُتِبَ فيها بخط صغير:

«البر والبحر، الرمال والماء... النجمة الخماسية... تتزامن مع اكتمال القمر. وحين تنزُّل السكينة من قلب المغرب، يتنزَّلُ الحقد والبغضاء من المشرق... هذا ما أملاه علينا المستحق للعرش»

ابتلعتُ ريقي بقوة وعيناي لا تغادران الطلاسم المكتوبة، ما هذه الهرطقة؟! أمعقولٌ أن تكون هذه القضية لها علاقة بالسحر والشياطين والشعوذة، بعد كل شيء؟ انطفأت الكهرباء عن الغرفة فجأةً وعادت مباشرةً، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بدأتُ قراءة آية الكرسي متبوعةً بالكثير من المعوذات، هارعًا لهاتفي للاتصال بالمقدم... أعتقد أن علينا الاستعانة بالمختصين في هذه القضايا من المشايخ. أنا مجرد محقق أستطيع التعامل مع الطبيعيات والأمور المرئية، أما ما وراء الطبيعة والروحيات فهذه ليست لي... احمِنا يا الله من شرورهم.

هرطقات

«(المستحق للعرش) عند عبدة الشياطين هو معبودهم إبليس، ما سبق ذلك فهو طلسم لا محالة لكن هذه هي المرة الأولى التي سمعه فيها»

نطقَ الشيخ (بدر) المختص بأمور السحر والجن، ناظرًا بعمق وتحليل للنجمة الخماسية بجوار (مسعود) الذي هز رأسه بغير تصديق... بينما انتظرتُ الشبكة العنكبوتية لتعطي انطباعاتها عن تلك العبارة وصبري ينفد.

«البر والبحر، الرمال والماء... النجمة الخماسية... تتزامن مع اكتمال القمر. وحين تنزل السكينة من قلب المغرب، يتنزل الحقد والبغضاء من المشرق... هذا ما أملاه علينا المستحق للعرش»

لا نتائج. كما اعتقدت بالضبط، وما أدرى محركات البحث عن هذا الهراء الشيطاني؟! التفتَ علي الشيخ بعينين يفز لهما القلب يرتعد، سكت للحظات كانت مريبة ومقلقة... قبل أن يحذرني:

«أنصحك بالتزام الأذكار والإكثار من قراءة القرآن في هذا مكان، لا نعلم تأثير هذا الطلسم بعد وقد يكون مميتًا... وعُبّاد الشياطين أخطر من السحرة حسب ما شهدت عيني... لن يترددوا في التضحية في سبيل معتقدهم!»

غادر الشيخ مع رجال الشرطة ومكثَ معي (مسعود)، الذي أظهرت عيناهُ احتياجه الشديد للنوم... أما شعره الجعد فلا تتغير هيئته أبدًا. قال متكئًا على الأريكة، مطلقًا تنهيدةً عميقة:

«أعتقد أننا أمام شيء أكبر منا كلنا»

«سألتهم للنظر في أمر الفتيات الهاربات؟»

قلتُ وأنا ملي منشغلةٌ بالضغط على لوحة المفاتيح، باحثاً عن النجمة الخماسية في محرك البحث.

«سيوافوننا بها غدًا، قائمة الفتيات الهاربات من جميع أنحاء المملكة... بالأخص في (الشعيبة) وما حولها. خطوةٌ جيدة سيادة النقيب، أواثقٌ أنك تريد المكوث هنا بعد كل ما حدث؟ المكان خطر جدًّا لا سيما وقد علموا طريقة لإتلاف كاميرات المراقبة، وقد اقتحموا غرفتك وعبثوا بها بتهديدٍ صريح منهم»

«لا تقلق علي سعادة المقدم، لن يجرؤوا على إيذاء رجل أمن... يريدون تخويفنا فقط»

ربت على كتفي وتوجه لباب الخروج، قائلًا:

«تصبح على خير يا (أديم)»

«تصبح على خير»

«استُخدمت النجمة الخماسية بشكل رمزي في (اليونان القديمة) و (بابل)، وتُستخدم اليوم كرمز للإيمان من قِبل العديد من أتباع ديانة (الويكا)، على غرار استخدام الصليب من قبل المسيحيين...»

مررتُ عيني على المعلومات التي أدلت بها مواقع الإنترنت عن النجمة الخماسية، ومئات الأديان التي استخدمتها كرمز لها... حتى وقعت عيني على الديانة اللعينة التي أعتقد أننا أمامها... (الشيطانية) أو (عبدة الشيطان).

«الشيطانية أو تمجيد الشيطان (بالإنجليزية: Satanism) هو مصطلح عام يشير إلى مجموعة من المعتقدات الإيديولوجية الفلسفية، تتضمن الشيطانية رابطة رمزية وإعجابًا بالشيطان. أشارت تقديرات تعود لعام ١٩٩٠ إلى وجود ٥٠,٠٠٠ شيطاني. حاليًا قد يكون هناك ما لا يقل عن مئة ألف شيطاني في العالم. على الرغم أن الممارسة العلنية للشيطانية بدأت بتأسيس كنيسة الشيطان في الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ ، إلا أن السابقات التاريخية كانت موجودة: مجموعة تُدعى (Our Lady of Endor Coven)

«أُسست في أوهايو على يد هربرت آرثر سلون عام ١٩٤٨...»

استمرت عيني بالقراءة حتى أصبت بالصداع، لكني تعلمت الكثير هذه الديانة الغريبة... ذكروا أن عليهم تقديم تضحيات بشرية وحيوانية للشيطان الأكبر (إبليس)... لعل الماعز كان تضحيتهم الحيوانية وكانوا يعقدون العزم على تقديم (ريحانة) كتضحية بشرية؟ ماذا عن عبارتهم التي علقوها على مرآتي لم أجد لها أثرًا!

ما هذا التعقيد، كيف انتقلنا من التحقيق في الوقائع وما تراه العين... إلى الانغماس في الشعوذة والهرطقات والأمور الشيطانية؟

سلام على الدنيا

«جميعهن انقطعت أخبارهن بالكلية، ومنهن القليلات اللاتي عدن لأهليهن باكيات من قسوة الغرب الذي هربن له»

قال (مسعود) محدّقًا بصور الفتيات ومعلوماتهن، قبل أن يستبعد ملفات أولئك اللاتي عُدن لأهليهن.... مُبعدًا إياها عن الطاولة.

«الآن نحنُ أمام ٣٤ فتاةً هاربة، ما هي حلقة الوصل التي علينا البحث عنها بين الفتيات؟»

تساءلتُ متصفّحًا ملفاتهن بأعمارهن المختلفة ومواقعهن.

«بالمناسبة، تقرير الطب الشرعي أثبت أن سبب الوفاة مادة سامة دخلت عن طريق الجوف لا الوريد... مما يعزز احتمال المياه التي تم تسميمها لـ(ريحانة). ودماء النجمة الخماسية على الورقة لم تكن سوى دماء ماعز»

قال المقدم قائمًا من مكانه ليدور حول الغرفة بطريقة مثيرة للتوتر.

«ذكرني مجددًا، كم كان عمر (أمنية) ابنة العم (بركات) حين هربت؟»

كنتُ أعرفُ الإجابة لكني أردتُ التثبت، وكأن شعلة توقدت في ذهني.

«عشرين عامًا، لماذا؟»

«حسنًا، هذا هو عمر (ريحانة)»

بحثت بين الملفات وبدأت عملية الفرز، حتى توقفت التصفية على ١٤ فتاةً من الهاربات... قبل أن أقول:

«ماذا لو كانت هذه الطائفة تستهدف الفتيات العشرينيات لسبب ما؟ هؤلاء

من الفتيات اللاتي هربن بعمر العشرين بالضبط»

عاد للجلوس بجواري لتدور عيناه بين الملفات كالمجنون، وقد أنرتُ شيئًا ما في عقله... قبل أن يضع الملفات بترتيب معين قائلًا:

«أيقومون باختطاف فتاةٍ في كل عام؟ انظر للترتيب الزمني!»

(صباح بنت...) هربت في عام ١٩٩٧

ابتهال بنت...) عام ١٩٩٨

(نوف بنت...) عام ١٩٩٩

(دانة بنت...) عام ٢٠٠٠

(جود بنت...) عام ٢٠٠١

(وداد بنت...) عام ٢٠٠٣

(خديجة بنت...) عام ٢٠٠٤

(آلاء بنت...) عام ٢٠٠٥

(أشواق بنت...) عام ٢٠٠٦

(حلم بنت...) عام ٢٠٠٧

(نشوى بنت...) عام ٢٠٠٨

(شروق بنت...) عام ٢٠٠٩

(مرام بنت...) عام ٢٠١٠

(فاطمة بنت...) عام ٢٠١١

و (ريحانة بنت...) في عامنا هذا ٢٠١٢.

«توجد فجوة زمنية بين (جود) و (وداد)، ما الذي حدث في عام ٢٠٠٢؟»

قال (مسعود) متلاعبًا بشاربه، وعيناه الحادتان تغوصان بأعماق التفاصيل.

«يا إلهي، ألم تهرب (أمنية) ابنة الكهل (بركات) في تلك السنة؟»

قلت وهرمون الأدرنالين يشتعل في جوفي أيما اشتعال، لننظر أنا و(مسعود) بعضنا لبعض ببطء وقد توصلنا أخيرًا لنقطة ما في هذه القضية اللعينة! تناول قلمًا وكتب: «(أمنية بنت بركات) في عام ٢٠٠٢» ليضعها بين (جود) و (وداد). قال مريحًا ظهره على الكرسي:

«يصعب جدًّا أن تكون هذه محض صدفة، أعتقد أنك كنت على حق... يبدو أن الكهل (بركات) يعرف الكثير! هل تضحي هذه الطائفة الشيطانية بفتاة في كل عام؟»

تساءلتُ وعقلي يعمل بأقصى جهد:

«ماذا عن الأشهر والأيام، هل هربن في الشهر نفسه من كل سنة؟»

لا ارتباط بين الأشهر الميلادية البتة، عشوائية للغاية. إحداهن في نوفمبر والأخرى في ديسمبر وواحدة في أكتوبر، فوضى.

«لحظة، انظر للأشهر الهجرية!»

نطقَ (مسعود) وهو يقلب بين الملفات، بينما ألتقط أنا شهور هروبهن.

١٢ (شعبان)، ١٥(شعبان)، ١٠ (شعبان)، ١٣ (شعبان)، ١٥ (شعبان)، ١١ (شعبان)... وهلمَّ جرًّا. قلت مضيقًا حدقة عيني في الملفات:

«شهر (شعبان) يعني شيئًا لهذه الطائفة، وأعتقد أن كل تضحياتهم كانت فيه...»

قاطعني (مسعود) ليُكمل:

«وحين وجدنا (ريحانة) هاربة من المنتجع كان في الخامس عشر من شهر (شعبان)، ما علاقة شعبان في طقوسهم؟!»

«فكر قليلًا، ماذا يحدث في منتصف الشهر؟ كل هذه الأيام التي هربن فيها تؤذن بانتصاف الشهر»

لم يستغرقه الأمر كثيرًا قبل أن يصرخ:

«اكتمال القمر، البدر!»

سكت جميعُنا وانشغل بالتفكير العميق، وأنا أنظر لمسقط رأس الفتيات الهاربات... (جدة)، (مكة)، (الطائف)، (الشعيبة)، (الجموم)... كلها متجاورة وقريبة من (الشعيبة). أشرتُ بإصبعي على المدن وأومأ لي فاهمًا مقصدي، قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا قائلًا:

«علينا الذهاب لـ(بركات) أولًا لأخذ كل ما نستطيع أخذه منه، أبسط شيء قد يدلنا على هؤلاء الملاعين! ثم ننظر في أهالي الهاربات إن أمكننا استدعاؤهم»

أجبتُهُ بخيبة أمل:

«لا ترفع سقف آمالك، ذاك الخرِف المسكين يتيه كثيرًا وأشعر أن لديه الكثير من المعلومات لكن استخراجها منه سيكون صعبًا للغاية... حتى أنه قال لي إن (صاحب العباءة البرتقالية) هو (أديم أحمد). الحقائق تختلط عليه ولا ألومه»

نظر للساعة التي أشارت للحادية عشرة صباحًا، قبل أن يجمع حاجياته ويقول:

«غالبًا ما يكون مستيقظًا بمثل هذا الوقت هيا بنا!»

«أعتقد أن ما كان يكرره منذ هروب ابنته صحيح، حين اعتقد الجميع أنه خرف... يبدو أن ابنته (أمنية) كانت مخطوفة بالفعل... لنذهب!»

قلتُ وأنا أتجه لباب الغرفة، لم أكن لأرفض إعطاء الكهل المسكين فرصةً أخرى. تبعتُ المقدم الذي هرع لسيارته، تحركنا نحو منزل (بركات) سريعًا والذي لم يستغرق منا سوى دقائق بقيادة (مسعود) الجنونية... أراد الانتهاء من هذه القضية الشائكة بأسرع وقت... قبل أن تتفاقم وتتضخم. غريب جدًّا أن تحصل قضية بهذا التعقيد في هذه المدينة الساكنة، يبدو أنها لم تعد هادئة بعد كل ما حدث.

ترجلنا من السيارة ومشينا بهمة نحو باب الفيلا، ليقرع (مسعود) جرسها وننتظر الرد تحت أشعة الشمس الحارقة في ذلك اليوم. لم نلبث حتى فتح لنا الخادم الباب، والذي عرف (مسعود) مباشرةً وأشار لنا بالدخول... ولم تكن شهرة المقدم بشيء مستغرب في هذه المدينة الصغيرة.

دخلنا على الكهل الذي كان جالسًا على كرسيه ناظرًا للأمام، لم يلتفت للحظة للنظر للداخلين إليه... وكأن فقده لابنته قد أصمّ أذنيه. جلسنا بجواره وأشار المقدم للخادم بالانصراف، قبل أن يقترب (مسعود) بوجهه من (بركات) سائلًا وهو يرجو الله أن لا يرده خائبًا من هذا العجوز:

«عم (بركات)، هلا أخبرتنا بمواصفات المختطفين لابنتك (أمنية)؟»

سؤاله خطير جدًّا، فقد أراد تحريك الذكريات قدر الإمكان في ذهن العجوز. التفتَ لنا أخيرًا باهتمام مقلبًا نظراته بيننا بعينيه اللتين غرقتا بمياههما الزرقاء... دون أن ينبس ببنت شفة للحظات... ثم نطق:

«صاحب العباءة البرتقالية! هو وأعوانه الملاعين قاموا باختطاف (أمنية) حين رفضتُ الإذعان والانصياع لأوامرهم ومتطلباتهم، حين انتصرت لمبادئي»

سحبَ (مسعود) نفسًا عميقًا قبل أن يسأله السؤال الجوهري:

«أخبرنا أرجوك، من هو صاحب العباءة البرتقالية)؟»

حول نظره للأمام مجددًا، مما أقلقني قليلًا... أرجوك لا تقُل (مسعود) أو (أديم أحمد)! سكتَ قليلًا ثم أجاب:

«أنا (صاحب العباءة البرتقالية)».

أطلق (مسعود) ضحكةً تهكمية وهو يهز رأسه، قبل أن يضرب على فخذه ناظرًا لي... هززت رأسي بالمقابل وقد خيب أملنا مجددًا. ضغطت رأسي بكلتا يدي، بعد أن سببت إجابته لي الصداع ورفعت ضغط دمي... سائلًا محاولًا التحكم بأعصابي:

«أرجوك ركز قليلًا يا عم، من هو (صاحب العباءة البرتقالية)؟»

أعاد نظره لنا مجددًا برأسه الأصلع، وأضحكنا كثيرًا بالذي فعله بعد ذلك.

«مااما زمنها جاية، جاية بعد شوية... جايبة لعب وحاجات، جايبة معاها

شنطة، فيييها وزة وبطة... بتقول واك واك واك»

كانت تلك الكلمات التي خرجت من فمه، تهويدة الأطفال التي تربينا عليها! الخطأ خطئي أني عدتُ للتفكير أن هذا الخرِف قد يساعدنا. قال لي (مسعود) وهو يقهقه:

«هيا بنا أيها النقيب، قبل أن نفقد عقلنا مثله»

اتجهنا للخارج قبل أن يمسك (بركات) بيدي بعنف ليقول:

«ولا خيــرَ في خـــلٍّ يخـونُ خليلَــهُ

ويــلــقــاهُ من بــعــد الــمــودة بالــجــفا

ويُــنكــِر عيشًـــا قــد تــقادمَ عــهده

ويُظــهِــر سرًّا كــان بالأمــس قــد خــفــا

ســلامٌ على الــدنــيــا إذا لــم يــكن بها

صــديقٌ صــدوقٌ صــادقُ الوعــد منصفا»

ياللفوضى التي يعيشُ بها ذهن (بركات)، مسكين... قبل قليل يُجيب بتهويدة والآن يُجيبُ بأبيات الإمام الشافعي الشهيرة!

«لو أعطيناه مزيدًا من الوقت فسيبدأ بالغناء لـ(محمد عبده)، لنذهب»

قلتُ مُفلتًا يده بلطف، مُحاوِلًا التحكم بأعصابي فهذا المسكين لا يتحكم بما يخرج من فمه. غادرنا الفيلا وركبنا السيارة، لنحدق أمامنا دون أن يشغل (مسعود) المحرك حتى... تحت بالشارع الطقس الحارق دون اكتراث. ما بالنا كلما اقتربنا ابتعدنا أكثر؟ ساعدنا يا رب.

«ليس أمامنا سوى التواصل مع أهالي الهاربات علنا نعثر على حلقة الوصل اللعينة! واللهِ لن أهنأ بنومٍ حتى أعثر عليهم وأمزقهم، لا أحد يأتي للعبث في مدينتنا الهادئة هذه... تحت ورديتي ومسؤوليتي!»

قال بغضب والعرقُ يتصبب من رأسه، مُشغّلًا المحرك محاوِلاً إخفاء يأسه قدر المستطاع.

❋❋❋❋

«الطعنة التي تباغتك من الخلف أَشَدُّ ألمًا من تلك التي تأتيك من الأمام، لكن شخصًا حكيمًا قال ذات يوم... احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة»

يقولُها لافظًا أنفاسه الأخيرة، مُستلقياً على الأرض والدماء تتفجر من صدره... ناظرًا للماثل أمامه والذي وجه فوهة المسدس على صدره.

لم أكترث لما يُعرَض على الفلم كثيرًا، على الرغم من شعبيته الواسعة... كنتُ أقلب النردين الأسودين بين يدي ناظرًا للتلفاز في غرفة الفندق. احتجتُ لتصفية ذهني بأي شيئ، وبدت الأفلام خيارًا جيدًا في تلك الليلة الهادئة... مُنتظِرًا دليلًا قاطعا يهبط من السماء.

عقدتُ العزمَ على زيارة المنتجع المهجور مجدّدًا، لعل زيارتي تحرك شيئاً ما في ذهني... سأذهبُ بعد الفلم الذي أوشكَ على الانتهاء.

تلك العبارة التي قالها بطل الفلم حركت شيئًا في خلدي، لا أعلم إن كانت مشاعر أو دلائل... لا أستطيع توظيفها في عقلي بالشكل الصحيح. كان يقولها لصديقه الذي غدر به، بعد أن أطلقَ عليه النار و شاهده يصارع الموت... دون أن يعطف قلبه للحظة على صديقه.

دق هاتفي ليُعيدني للواقع، هرعتُ للجانب الآخر من السرير وأجبتُ على الفور... دون العلم بهوية المتصل.

«السلام عليكم، مركز شرطة(الشعيبة)... هذا هاتف النقيب (أديم)؟»

بدا صوتُهُ مُرتاعًا قلقًا على الرغم من محاولته الواضحة لإخفاء قلقه.

«معك النقيب، تفضل»

صمتَ للحظاتٍ اشتعل فيها توتري، حتى كدتُ أصرخُ عليه ليتحدث... ثم قال:

«سيدي، زوجة المقدم (مسعود) قدمتْ للإبلاغ عن عدم رجوعه للمنزل... وحاولتْ هي وحاولنا التواصل معه دون إجابة. وسيارته ليست أمام القسم ولا حتى عند منزله، ما الذي نفعله؟»

«أنا قادم فورًا، أعطني بضع دقائق»

سحقًا، أفعلوها حقًّا ؟! أرجوك يا ربي لا، لُطفًا بنا يا الله. أهم بهذا الجنون للتعدي على رجل أمن! لا أعتقد ،لعله تأخر في قضاء بعض الحاجيات... لا يُخاف على أمثال (مسعود).

أسرعت للمغادرة آخذًا مفاتيح سيارتي، مرتديًا ثوبي لأزرره في طريقي للنزول... لم أنتظر المصعد ونزلتُ على السلالم .ركبتُ السيارة بعد مغادرة الفندق، شغلتُ المحرك وانطلقتُ كالرصاصة.

قلبي ينغزني بشدة وأنا أتمنى أن يبقى لعبدة الشياطين هؤلاء ذرة عقل... تمنعهم من التعدي على رجل شرطة. وصلتُ للقسم وتركتُ المحرك دون إطفائه، لن يسرق أحدٌ السيارة أمام قسم الشرطة.

صعدتُ السلالم ليستقبلني أحدُ العسكر، وتظهرَ خلفه امرأةٌ قصيرة... اختبأ وجهها خلفَ نقابها... نقابها الذي أظهر عينيها القلقتين.

«أنا (سمر) زوجة (مسعود)، أرجوك طمئن قلبي عليه وأخبرني أنك تعرف مكانه»

«أنا النقيب (أديم)، لا تقلقي سيدتي فسنبذلُ ما بوسعنا للعثور عليه و ...»

«أعلم أعلم من أنت فقد تحدث عنك كثيرًا في البيت، أرجوك أعفِني من هذا الهراء وأعِد لي زوجي... ردكَ الله سليما لنا يا حبيبي» قاطعتني بعنف لتسقُطَ دمعةٌ من عينها، وتعود للخلف لتجلسَ إلى أحد الكراسي ويرافقها عسكري

آخر... ولا ألومها أبدًا. خاطبتُ العسكري الذي استقبلني فلا وقت لدينا:

«حسنًا علينا إيجاد سيارته أولًا وضعتَ التعميم على الدوائر الأمنية بلوحتها؟»

أومأ لي ونظرتُ للساعة، تُشير للحادية عشرة مساءً... قلتُ له:

«كان معي قبل سبعِ ساعاتٍ بالضبط، ولم يعُد للمنزل منذ ذلك الوقت؟»

«نعم يا سيدي، هذا ما قالته السيدة (سمر)»

«حسنٌ حسن، لا داعي للقلق بإذن الله... لن يجرؤوا على إيذائه حتى لو اختطفوه ودعونا لا نقفز لاحتمال الاختطاف بهذه السرعة»

قلت متجهًا نحو مكتب (مسعود)، قبل أن يهرعَ أحد العساكر نحوي ويهمس متفاديًا سماع (سمر):

«سيدي، وجدنا سيارته على قارعة أحد الطرق»

همست له :

«حسنًا، فليذهب القليل منا لمباشرة الموقع واتصل بالطب الشرعي.... لا تدعوها تشعر بشيء»

توجهتُ للخارج واستوقفتني بنظراتها القلقة وتسأل:

«هل عثرتم على شيء، أرجوك لا تخبئ عني... أعلم أن معلومات جديدة قد وصلتكم»

قلتُ محاولًا تخفيف قلقها، مُشيرًا للعسكري الذي لازمها:

«لا تقلقي سيدتي، لا نعلم عن شيء بعد... وسنوافيك بكل جديد»

خرجتُ وهي تحاول جاهدةً التعرف على ما وصل لنا، لتتحرك مجموعةٌ من سيارات الشرطة نحو الموقع... وقلبي يدق بعُنف وكأنه يحاول الخروج من جسدي. اشتعلتْ صافرات السيارات المزعجة وهي تنطلقُ بسرعة ، شاقة طرق المدينة الصغيرة لتبثّ الهلع في قلوب ساكنيها.

رأيتُ سيارته وتعرفتُ عليها من بعيد، لتتوقف السيارات ونترجل بحذر... مقتربين بهدوء لنتحاشى المفاجآت المحتملة. مسدساتنا مُشهَرَةٌ نحو السيارة، وأجسادنا وأدمغتنا مستعدةٌ لأي مباغتة من أي أحد.

حسنًا، ها هي ذي النجمة الخماسية مجدّدًا... بالدماء مرسومةٌ على الزجاج الأمامي... لِمَ أشعر أن حياتي أصبحت تتمحور حول هذه النجمة المشؤومة؟! لا مجال للشك الآن، المقدم (مسعود) بحوزتهم... بحوزة الطائفة الشيطانية التي حلت كلعنةٍ على مدينة (الشعيبة). أي جنون يجعلُ هؤلاء الحمقى يعبثون مع الجهات الأمنية؟

«قوموا بمسح السيارة كلها بحثًا عن البصمات والآثار، لا تتركوا أي شيء دون مسح دقيق»

آهٍ كم هو مؤلم، أصبحتُ أُصدِرُ الأوامر بدلًا عنه... رباه إن (مسعود) عبدٌ من عبادك وجندٌ من جنود أرضك فاحفظه بحفظك.

صباح الخير

أرغبُ حقًّا أن أقولها لكني لا أستطيع، حتى مع رؤيتي لطلبة مدارس المتفائلين... قاطعين الطريق وحقائبهم المدرسية خلف ظهورهم. أود أن أن تخرج من لساني لكنها تأبى، حتى مع رؤيتها لطالبات الابتدائية بمراييلهن... متشبثات بأيدي آبائهن قبل أن يودعوهن ليومهن الدراسي. أريد أن أنطق بها لكن يصعب علي، حتى مع وصول أنغام وتغريد الطيور لمسامعي... مغادرةً أوكارها بحثًا عن قوتها ورزق يومها.

حسنًا سأقولها رغم كل شيءٍ تفاؤلًا، صباح الخير. لا أخبار بعد عن مقدمنا (مسعود) ، وقد مضتْ عدة أيامٍ على اختفائه... وها أنا ذا في طريقي لقسم الشرطة والإحباط يقتلني. أين أنتَ يا (مسعود)؟ لو تعلمُ كيف أصبحت مواصلةُ التحقيق صعبةً جدًا بعدك! أقتلوهُ أم اختطفوه؟ أهو الآن تحت التعذيب الشديد من غريبي الأطوار أصحاب النجمة الخماسية؟

كلفتني الجهات المعنية بمواصلة التحقيق تحت إشرافي، وكم وضعني هذا تحت الضغط الشديد... واليوم بالذات لا أعرفُ ما أفعله. تواصلتُ مع مَن استطعتُ مِن عائلات الفتيات الهاربات، ولا نتيجة إطلاقًا... لا شيء يربط النجمة الخماسية بعبدة الشياطين بالفتيات الهاربات ببقية الأشياء الغريبة.

دستُ على المكابح بقوة لأحدق بإحدى المدارس الثانوية، استوقفني موقفٌ لسبب ما... يحدثُ أمام باب المدرسة حيثُ تجمهر حوله عددٌ كبير. خرجتُ من السيارة لأشهدَ الحدث ،وأتدخل قبل أن يتفاقم ويكبر ويصل للشجار باليد. توقفَ طالبان بعضهما أمام بعض وهما يتبادلان أنواع السباب والشتائم، وبدا أن لحظاتٍ قلائل تفصلهما عن المشاجرة والخناق... لأرى الإداريين والمشرفين يتدخلون سريعًا ويفرقون بينهما. تراجعتُ بعد تدخلهم لكن جملةً قالها أحد المتجمهرين استوقفتني :

«من كان ليظن أن هذين الصديقين الحميمين قد يتشاجران ويتهمان بعضهما بعضًا بخيانة الصداقة ؟!»

حينها فقط ربطت بعض الأمور التي كانت تدور في ذهني منذ برهة، لكني لم أستطع تحديد الرابط بينها بالتحديد... ولن أرفع سقفَ توقعاتي عاليًا لكنه أمرٌ مثيرٌ للاهتمام... وقد حفز ظهوره داخلي جملةُ الطالب المتجمهر.

أبيات الشعر التي رددها (بركات) ، والتي تصِفُ شعور خيانة الخل لخليله... أيعقَل أن يكون هذا هو جوابه عن (صاحب العباءة البرتقالية)؟ هل عبدة الشياطين هؤلاء هم أصدقاء سابقون ل (بركات)؟

وبالأمس أشاهد فلمًا يصِفُ غدر الصديق وطعنه من الخلف، وكنتُ أتساءل لِمَ يذكرني بشيء ما !

رغم صعوبة الربط وغباوته وبُعد الاحتمال إلا أنه تحتم علي ملاحقته والتقصي عنه ، علي زيارة (بركات) مجدّدًا! ما الأمر مع هذا الكهل وزياراتي المتكررة له، رغم إقسامي كل مرة على عدم العودة له!

ولكن من هم اصدقاؤه القدامى وكيف من الممكن الوصول لهم؟ أعرِفُ واحدًا من أصدقاء (بركات) فقط وهذا لا يزال صديقه وهو الذي يهتم به للآن، (نعمان). ولم يُبدِ (بركات) أي كراهية أو بغض تجاهه... بل على العكس كانا يتذكران الأيام الخوالي ، ويضحكان عليها.

لن أستبق الأحداث أكثر من ذلك، وسأتواصل مع (بركات) أولا ثم (نعمان) إن لم تكُن هناك نتيجة... عدتُ لسيارتي وقد فُضَّ التجمهر، بعد أن سحب المشرفون الطالبَين المتشاجرين ودفعوا البقية للداخل. اتجهتُ نحو فيلا الكهل مباشرةً، قبل أن أتراجع عن هذه النظرية البلهاء التي بدأ عقلي يشككني تجاهها... لِمَ آخذ كلام عجوزٍ خرِف بعين الاعتبار... ماذا عن تهويدة الأطفال التي غناها قبل أبيات الشعر ؟ ما معناها لو كان لكلامه معنى أصلاً؟

كنتُ قد حفظتُ عنوانه والمدينة الصغيرة بأكملها، بحلول ذلك الوقت المشؤوم الذي غمرنا القلق فيه. توقفتُ وخرجتُ من السيارة لأرى مُرافق (بركات) واقفًا على باب الفيلا، والذي عرفني مباشرةً وأدخلني... لنتخطى الحديقة سريعًا وتخطو أقدامنا داخل الفيلا.

دخلتُ على الكهل مباشرةً وهو في الكرسي الخاص به في غرفة المعيشة، هل يقضي (بركات) عمره كله في هذا الكرسي؟ لا يزال منظره كما هو، مُحزِنًا للناظرين وهو ينظر للأمام ويداه ترتعشان.. أتمنى أن أرى يومًا ما يجول في خاطره

«يا عم، كيف حالك؟»

سألتُ والجوابُ ظاهرٌ لكل من له عينٌ تبصر، ليس بخير على الإطلاق... ومضى زمنٌ طويل منذ أن كان بخير. لم أسمع جوابًا كما اعتقدت، فأطلقتُ تنهيدةً عميقةً قبل أن أطلب منه :

«أخبرني عن أصدقائك يا عم، أصدقاء الزمن الجميل»

نظرَ لي قبل أن يضع يده المرتعشة على يدي ويبتسم بشكل مرعب... وحدقتاه تضيقان. استمر بالتبسم ويده على يدي دون أن ينطق، ثم عاد للنظر للأمام مُفلِتًا يدي وقد تلاشت ابتسامته.

أعدتُ عليه السؤال، فما كان منه إلا أن أمسك بجهاز التحكم ورفع صوت التلفاز... يبدو أن هذا الكهل اختار أن يتجاهلني. قمتُ من مكاني خائبًا، وعقلي لا يزال يصر على نظريته الحمقاء. كان مرافقه جالسًا أمام باب الحديقة، ليقفَ حين رآني مغادرًا ليرافقني.

«هلا أخبرتني عمن يزور العم (بركات) بشكل مستمر من أصدقائه؟»

سألتُهُ محاولًا تكسير لهجتي ونحنُ نمشي في حديقة الفيلا، كما يفعل جميعنا

مع الأجانب ليفهموا كلامنا... ولو أننا تحدثنا بلهجتنا السليمة لفهموها ولتحدثوا بها.

«بابا (نعمان) يجي دايمًا، بابا (عبدالغني) كمان و(مروان) و (عبدالرحمن) و (أحمد)»

لمعتْ عيناي حين سمعتُ الجواب، لأشكره وأنطلق نحو القسم لأقوم بالمسح الشامل عن كل اسمٍ من هذه الأسماء... ولكن... كيف يستمر هؤلاء بزيارة (بركات) إن كانوا هم من طعنوه في ظهره؟! لا أعلم لكن هذه هي المعلومات التي لدي، وهذا طرف الخيط الوحيد الذي أستطيع مواصلة التحقيق به.

توقفتُ بسيارتي أمام القسم، ليرسل قلبي نغزاته الأليمة كلما سقط بصري على القسم... أين أنت يا (مسعود)... تركتَ حِملًا كبيرًا على عاتقي في غيابك. صعدتُ السلالم لأراها واقفةً مع ابنتيها امام باب القسم، تنتظرني لتهبط عليّ بنظراتها القاسية المعاتبة.. وكأني أنا السبب في اختفاء زوجها. بنتاها واقفتان بحقائبهما المدرسية أعينهما تخبئ حُزنًا عميقًا... رغم امتلاكهما لعيني أبيهما المفقود إحداهما في الثامنة عشرة من عمرها والأخرى في الخامسة عشرة وكم يؤلمني قلبي كلما نظرتُ لهما ولأمهما... وهن ينتظرن الأخبار عن رب أسرتهن كل يومٍ ببصيصِ أمل.

«هل من جديد عن زوجي؟»

سألت (سمر) وقد علمتُ سؤالها قبل أن تتفوه به، بالتأكيد هي قادمةٌ لمتابعة تحديثات التحقيق... حتى أن بنتيها قد تأخرتا عن مدارسهما.

«لا تقلقي سيدتي، سأوافيك إن جد جديد والله»

أجبتُها على عجلٍ وأنا أدخل القسم كنتُ أرغبُ بشدة أن أتوقف لطمأنتها لكن

الوقت ليس في صفي أبدًا.

«فقط اعلم أن (مسعود) كان ليبذل أكثر مما بذلت لو كنت أنت مفقودًا مكانه، هيا يا بناتي»

أطلقت كلماتها تلك بخيبة أمل فيّ كالعادة، ولا ألوم المسكينة أبدًا... فهي تخلدُ كل يوم للفراش وقلبُها معلق بزوجها المفقود. ترقبُ كل لحظةٍ اتصالًا يخبرها أنه عاد، تنام وتستيقظ غير عالمةٍ ما إن كان حيًّا أو ميتًا... هذا إن استطاعت عيناها النوم أصلًا.

يا الله إنهم قد وضعوا ثقتهم فيّ بعدك، فلا تخيب آمالهم ورد إليهم رجلهم سالمًا.

استدعيتُ أحد العساكر ليُخرِج لي الأسماء الكاملة لأولئك الذي يزورون (بركات)، بمعلوماتهم وسجلهم الأمني وكل ما يخصهم... ولم يتطلب الأمر سوى لحظاتٍ حتى أخرجَ لي كل ما يتعلق بهم فقد كان يعرفهم جميعًا.

«سيادة النقيب، كل من ذكرتَ أسماءهم يزورون (بركات) بشكلٍ دوري بالفعل، وجميعهم رجال أعمال معروفون ولديهم العديد من الشركات»

وضعَ لي سجلاتهم الأمنية وأشرتُ له ليجلسَ بجواري في غرفة الاستجواب، كانت تلك الغرفة هي التي أمكثُ فيها فترة غياب (مسعود)... رغم وجود مكتبه الخالي. لم يطاوعني قلبي أن أجلسَ مكانه أبدًا، لعلي أفعل ذلك لأبشر نفسي بعودته في أي وقت.

«(عبدالرحمن بن ...) عمره خمس وستون سنة، متزوج ولديه أربعة أبناء... تاجر مواد بناء معروف في مدينة (جدة)، وله عدة شركات عقارية.
(مروان بن...) عمره ثلاث وستون سنة، متزوج ولديه بنتان وابنان... له أنشطةٌ تجارية كثيرة متعلقةٌ بمواد التغذية وتوريدها من الخارج، ويملك العديد من المطاعم في مدينة (مكة).

(عبدالغني بن...) يبلغ من العمر إحدى وستين سنة، منفصلٌ وليس له أبناء... يملك سلسلة محطات شهيرة على الطرقات... وله شراكاتٌ في كثيرٍ من المشاريـع... سكنه في (الطائف).

(أحمد بن...) عمره ست وستون سنة، متزوج وله أربعة أبناء وابنة واحدة... يمتلك الكثير من المطاعم على مستوى المنطقة الغربية... واستثماراته كونت له ثروة طائلة... سكنه في (جدة).

(نعمان بن ...) عمره ستة وستون عامًا، متزوجٌ دون ذرية... يمتلكُ سلسلة فنادق شهيرة على مستوى المملكة... وله استثماراتٌ عديدة. سكنه في (مكة)»

سردَ العسكري المعلومات وهو يريني الملفات، وتفحصتها بتمعن قبل أن أقول:

«أعمارهم مقاربةٌ لبعضهم البعض هم و(بركات)، لا يسكن أي منهم في (الشعيبة) سوى صديقهم (بركات)»

صمتُ قليلا قبل أن أقول له باهتمام:

«أحتاج معرفة حالة سفر كل واحد منهم الآن!»

«حسنًا سيدي»

غادر غرفة الاستجواب سريعًا، ليتركني مع أفكاري الثقيلة والمحملة بالأتعاب... تحركَ شيءٌ ما في عقلي حين سرد معلوماتهم. إن كان صحيحًا فنحنُ أمام ربط مفزِع في هذه القضية، عددهم خمسة مع (نعمان)... ماذا يعني لنا الرقم خمسة؟ على الرغم من استبعادي أن يكون لـ(نعمان) يدٌ في الموضوع، لا سيما أن اهتمامه بـ (بركات) يظهر حبهما الشديد وقوة صداقتهما... لكن علينا أن نتوقع كل شيء.

فتحَ العسكري باب الغرفة وهو يلتقط أنفاسه، بدا أنه وجد شيئًا خطيرًا... إلهي لا تخيبني !

«سيدي، كلهم غادروا المملكة ولم يعودوا حتى هذه اللحظة!»

قال لأتبسم تلقائيًا، مثير للاهتمام أن يكون كل الخمسة خارجَ البلد

«أرني أوقات مغادرتهم»

قلتُ وأنا أغادر معه غرفة التحقيقات، لا أعتقد أن أوقات مغادرتهم متطابقة... خصوصًا أني قابلتُ نعمان قبل عدة أيام مع (بركات).

أراني شاشة الجهاز بعد أن أخرج سجلات السفر، وحركتُ عيني خلال التواريخ... وقمتُ بحساباتي في عقلي.

السابع عشر من شعبان غادرَ فيه (مروان) و(عبدالغني) و(أحمد) و (عبدالرحمن) المملكة... كلٌ منهم لوجهة مختلفة. هذا كان بعد يومين من ابتداء كل شيء، ورؤيتي لـ(ريحانة) واستنجادها بي في المنتجع ! ثم غادرَ (نعمان) بعدهم بعدة أيام. يستحيلُ أن تكون مصادفة، وحتى لو اتفقوا على السفر معًا فلِمَ رحل كل منهم لوجهة مغايرة؟ سالَ لعابي من النظر للشاشة فقد وصلتُ بالفعل لشيء أخيرًا، شيئٍ ألاحقه للوصول لـ(مسعود) وحل لغز الطائفة أخيرًا.

آه نعم، الرقم خمسة... عدد رجال الأعمال خمسة مع (نعمان)... والنجمة التي ترسمها الطائفة دائمًا نجمة خماسية... في أي منطقٍ تكون كل هذه الحقائق مجرد مصادفة ؟ علينا التحرك سريعا !

«سنتواصل مع الجهات المعنية وننتظر توجيهاتهم فالموضوع أكبر منا، علينا أن نصل لهم في الخارج بأي طريقة كانت... الله وحده يعلم ما فعلوه بـ(مسعود)»

(مكــة الـمكرمـة)

شعبان، ١٤٣٣ هـ

نداء الواجب

جلسنا إلى طاولة الاجتماعات الكبيرة، بأزيائنا الرسمية السعودية... ملتزمين الصمت لشدة هيبة المكان والزمان. لم أسمع صوتًا قط، سوى صوت الهواء الخارج من التكييف... بينما تحاشى الكل النظر بعضهم في بعض. عدّل كل منّا جلسته بين الفينة والأخرى من شدة التوتر، الذي حاولنا إخفاءه خلفَ ملامحنا الجامدة... التي لم تحمل أي تعابير لتصف أي مشاعر.

دخل الشخص المعني الذي جمعنا كلنا، بطوله الشاهق ولحيته الرتيبة الخفيفة وشاربه المتناسق... وعطره الزكي الذي ملأ أرجاء الغرفة. ألقى السلام ورددنا عليه، ليجلسَ على كرسيه المنشود عند الطاولة ونحول أنظارنا باتجاهه... مترقبين حديثه. قرّبَ كرسيه من الطاولة ليبدأ حديثه:

«أنا اللواء (فهد) الذي تواصلتُ معكم جميعًا فيما يخص قضية (الشعيبة) والطائفة الشيطانية، والاختفاء الغامض للمقدم (مسعود) مدير شرطة (الشعيبة).... كما يعلمُ جميعكم التفاصيل كلها عما حدث»

بالتأكيد أعلمُها ، بل عشتُ كوابيسها بنفسي ورأتها عيني وسمعتها أذني وفزع لها قلبي... في تلك المدينة الصغيرة.

«بعد التقصي الشديد والبحث في اجهزة المخابرات الأمنية وجدنا أن الحلقة الأضعف فى سلسلة الأصدقاء الخماسية هو (مروان)... وهو الأسهل للوصول إليه لقلة حرصه واحترازاته. الرجل يقضي جلّ وقته في النوادي الليلية والخمارات والمراقص في (تايلند)، وبالتحديد مدينة الخطيئة (باتايا). وهذا لا يعني أنه عديم الحرص بل قليل الحرص وتصرفاته الهوجاء حسب ما وصلنا

من (الإنتربول)[1] والسلطات التايلندية أثبتت ذلك... لهذا قررنا تعيين أحدكم للذهاب والإشراف على عملية القبض عليه لاستجوابه.

سكتَ قليلًا ليأخذ نفسًا عميقًا، وجميعُنا متأهبون وخائفُون في الوقت ذاته لأخذ تلك المهمة... الذهاب لـ(تايلند) ليس بالأمر الهين.

«المهمة تتطلب الانغماس والتصرف كسائحٍ أعزب في تلك البلاد، حتى لا تثار الشكوك أبدًا ويهرب (مروان)... فلا نعلم أعوانه في تلك البلاد والعيون التي تتربص. الاختلاط في البارات والذهاب للأماكن السياحية حتى وقت القبض عليه أمرٌ ضروري، وإن لم يكُن شخص أهلًا لهذه المهمة فيستطيع رفضها... لكن عليه أن يتذكر انه عميل سري يخدم وطنه ودينه... وهو غيرُ محاسبٍ إن شاء الله على ما يراه هناك من منكرات. أما بقية الأصدقاء فسنكلف كل واحد منكم بالقبض عليهم أيضًا، لكن بعد الوصول لـ(مروان) والتحقيق معه. هذه الخطة تقدم بها النقيب (أديم أحمد)، وسيتحمل كامل المسؤولية في حال فشلها... لأن الأدلة ليست قاطعةً تثبت اتهام أي من هؤلاء الأشخاص».

أشار اللواء إلي والجميعُ يعلمُون من أكون، لأبتلع ريقي ودقات بي تتسارع وأومئ برأسي... هل القرار الذي اتخذته هو القرار السليم؟

أومأ لي اللواء وهو يقول، وقد وافقَ قولُهُ إحساسي:

«حسنًا، تم اختيارك أنت أيها النقيب (أديم) لتكون العميل السري في هذه المهمة للقبض على (مروان) واستجوابه... هل توافق؟»

«نعم سيادة اللواء (فهد)»

---

[1] - الإنتربول: (المنظمة الدولية للشرطة الجنائية): هذا اسمها الكامل، وهي منظمة حكومية دولية فيها ١٩٦ بلداً عضواً. مهمتهم أن يساعدوا أجهزة الشرطة في جميع هذه الدول على العمل معاً لجعل العالم مكاناً أكثر أماناً ولهذا، فإنهم يمكنون البلدان من تبادل البيانات المتعلقة بالجرائم والمجرمين والوصول إليها، ويقدمون الدعم الفني والميداني بمختلف أشكاله.

أجبتُهُ دون تردد، وأنا أعلمُ أني سأندم أشد الندم حين أذهب هناك... فقد سمعتُ الكثير عما يحدث في تلك البلاد من كوارث.

لكن... كل هذا لأجلك (مسعود).

«أما عن بقية رجال الأعمال فهم كالأتي :

(عبدالرحمن بن...) في (جنوب أفريقيا)، سيتولى مهمة استجوابه الرائد (ممدوح).

(أحمد بن...) في (روسيا)، مهمة استجوابه يتولاها النقيب (عبدالله).

(عبدالغني بن...) في (إندونيسيا)، يتولاه المقدم (هشام).

كل هؤلاء شديدو الحرص ولن نتخذ خطوةً تجاههم حتى نصل إلى (مروان) أولًا، بعد ذلك سنتحرك نحو الآخرين. أما (نعمان)... فعلى ما يبدو أنه أشدهم حرصًا ولن نتحرك نحوه خصوصًا أو نكلف أحدًا بمهمة إحضاره حتى نتبين ونرى سير الأمور»

فضّ الاجتماع وقَبِلَ كلٌّ منهم مهمته الموكلة إليه، كان الضباط العملاء من شتى أنواع الأجهزة الأمنية... وبدا اختيار الجهات لهم بعناية وحرص... فنحنُ أمام قضية تمس رجل أمن. وإن كان اعتقادي صحيحًا وتحليلي، فهذه الثلة الشيطانية كانت تختطف الفتيات لتقديمهن كقُربان... للتقرب من إبليسهم. هذا إن لم يعتدوا عليهن جنسياً قبل ذبحهن! ارتعش جسدي لمجرد التفكير بالأمر تُرى ما الذي فعلوه بالمسكينة (ريحانة) قبل أن يغادروها بجروحها التي نزفت واختلطت دماؤها بحوض الاستحمام... حتى وإن كانت تنوي الهروب فهي لا تستحق كل هذا في المقابل.

هذا الذي رأيناه مع (ريحانة) فقط فما بال الأخريات؟ و (نعمان)... لا أعتقد أنه معهم في هذه الطائفة الدنيئة البتة...

«سعادة النقيب (أديم)، هل لي بكلمةٍ معك من فضلك؟»

قطعَ اللواء (فهد) حبل أفكاري، عدتُ للواقع لأرى معظمهم غادروا الغرفة ولم يتبق سوى القليل... والذين غادروا هم أيضًا بعد جملة اللواء.

«بالتأكيد سيادة اللواء، ما الأمر؟»

قلتُ وأنا أقترب منه، معدّلًا شماغي الأحمر لتظهر رقبتي.

«هل أنتَ متيقنٌ من قرارك يا (أديم)؟ وجودك في (تايلند) سيكون في بداية رمضان، أتستطيعُ تحمُّل رؤية تلك المناظر في هذا الشهر؟ لا يزال بإمكانك الرفض حتى الآن، وبمجرد خروجي من الغرفة لن ستطيع تغيير قرارك»

هو يريد اختبار صبري، يريد التثبت من أني ملائمٌ لهذه المهمة.... بمجرد تفكيري بالتراجع يزور ذهني طيف (مسعود) المفقود... ثم تزاور أطياف بنتيه الصغيرتين وزوجته اللاتي ينتظرن عودته لهن كل يوم.

«نعم سيدي، أنا متيقن»

قلتُ وأنا أنظرُ في عينه دون أن يتغير في قراري شيء.

«حسنًا، اعلم مجددًا أنك تقومُ بهذه المهمة لغاية نبيلة... عليك أن تتذكر هذا الشيء طيلة فترة مكوثك هناك»

قال وهو يربت على كتفي، قبل أن يتوجه لمغادرة الغرفة... وألحقه أنا وحبل أفكاري الطويل الذي أرهق دماغي.

(باتايا)، (تايلند)

رمضان، ١٤٣٣ هـ

غريب

«شكرًا لك، تستطيع التوقف هنا»

نطقتُ بإنجليزية سليمة لسائق الأجرة، ليتوقف بسيارته أمام فندقي المنشود.

«أواثقٌ سيدي أنك لا تريد بعضَ الفتيات لتسليتك الليلة؟ أستطيعُ جلبهن لك»

قال السائق بأسوأ لكنة إنجليزية مرت على مسامعي، ليُعيد عرضَ خدماته التي رفضتها منذ استقللت السيارة... ويالطول الطريق من مطار (بانكوك) حتى هذه المدينة سيئة السمعة.

تسمى مدينة الخطيئة، (باتايا)... حيثُ يقضي السياح هنا أمتع الأوقات مع مختلف الفتيات وحتى الرجال... إن كان ذلك يحلو لهم. عليّ الاندماج في هذه المدينة والانغماس في الأنشطة كما قالوا لي، فارتديتُ لباسًا صرخَ للجميع أني سائح... بقبعتي الزرقاء وبنطال الجينز والتيشيرت الأبيض... والشنطة التي علقتُها حول صدري. أعطيتُ سائق الأجرة أمواله وتوجهتُ لبوابة الفندق، ليستقبلني الفندق أيما استقبال... بعدة فتياتٍ وقفن هناك في انتظار زبائنهن. ابتسمتُ لهن واستطعتُ التملص من شتى الخدمات التي عرضنها، لأقف عند موظفة الاستقبال التي أنهت اجراءات الدخول... وأعطتني بطاقة الدخول للغرفة.

اتجهت نحو المصعد وصعدتُ لغرفتي، لأغلقَ بابها وأرمي حقيبتي على الأريكة.... وأطلقَ تنهيدةً عميقةً وأنا أرتمي على السرير. قد يكون هذا أفضلَ شعورٍ في السفر، حين ترتمي على السرير المخملي لأول ليلة... وأنتَ تفكر في

وجهاتك العديدة التي ستزورها. أما حالتي فقد كانت مختلفة، نعم كنتُ أخطط لوجهاتٍ لكني لم أُرِد زيارتها يومًا في حياتي... لأصل لغايتي المنشودة أخيرًا... (مروان).

وقفتُ عند النافذة وفتحتها لأنظر للأسفل، ويصل صوتُ الموسيقى الصاخب لأذني... نظرتُ وليتني لم أنظر. الكثير من الأضواء، والكثير من الفتيات بلباسهن الخليع، والكثير من الزبائن الذين استمتعوا أيما استمتاع بولوجهم لذلك المكان.... حسنًا... يقبع تحت فندقي أحد الشوارع المسماة بـ(شوارع جهنم).

هُناك، حيثُ لا شيئ ممنوع اطلاقًا. هناك، حيثُ كل شيئ يوصلك لجهنم. هناك ،حيثُ لا ملامة على أحدٍ من الزوار. هي بنسبه لهم جنةٌ يجدون فيها كل ما يرغبونه ويشتهونه، وبالنسبه لي جحيمٌ لا يُطاق... آه كم أشعر بأني غريبٌ هنا. هذا المكانُ ليس لي.

فإن عُدنا عاد الظالمون

تممدتُ امام الشاطئ وفي يدي جوز الهند، مرتشفًا منه وقد لمعت عيناي خلف نظاراتي الشمسية السوداء... تحت اشعة الشمس في ذلك الوقت المبكر من اليوم. صوتُ الأمواج المتلاطمة ساعد على تخفيف توتري وانزعاجي، إلا أن رواد الشاطئ من الرجال وبالغين عكروا صفو الاسترخاء. لم أكُن أريد فعل ذلك لم أرغب بالمجيء لهذه البلاد أصلًا... لكن الظروف شاءت. (مسعود).

(كو فانج)، هذا الشخص الذي أنتظرهُ... وهو السبب في وجودي في ذلك المكان. دوّى صوتُ الدراجات النارية في أذني، والتي امتلأ بها هذا البلد ويستخدمها الكثيرُ للتنقل عوضًا عن السيارات. التفتُ لأرى أربع فتياتٍ أوقفن دراجاتهن للتو لينزعن خوذاتهن ويمشين نحو الشاطئ. لم يستر أجسادهن سوى قطعتين، وقد اتضح للكل انهن هنا لقضاء وقتٍ ممتع مع بعضهن البعض. في مقدمتهن مشت احداهن وقد تغطت عيناها بنظارتها الشمسية الذهبية، لتدع الهواء الطقس يلامسان بقية جسدها الحنطي. مدت يدها لتفرد شعرَها طويل الأسود، وتتلاعب بنعومته وهي تمشي للشاطئ... ماضغةً علكتها وهي تمازحُ رفيقاتها.

أعدتُ النظر للأمام وأخذتُ نفسًا عميقًا، أعِنّا يا الله وارزقنا الصبر. لحظاتٌ ورأيتهن أمامي بالضبط، ليجلسن حولي متضاحكاتٍ وتجلس التي بدت قائدتهن وأكبرهن بجواري... ذات النظارة الذهبية.

«(كو فانج)»

قالت مادّةً يدها لمصافحتي، بعد أن وضعت سيجارةً في فمها.... ناظرةً للبحر أمامها.

صافحتُها بارتياح بعد أن تيقنت أن هذا هو الشخص الذي أنتظره:

«(أديم)»

أشعلتْ سيجارتها ودخنتها بهدوء، بينما تحدثت بقية الفتيات مع بعضهن البعض بلغتهن التي لا أفقه منها شيئًا... سوى كلمات الترحيب والشكر.

«حسنًا أيها الفريق، لنتهِ مما جئنا لأجله ثم نفعل ما نريد مع هذا الرجل الوسيم العربي»

قالت بلهجة آسيوية سيئة للغاية، أفسدت اللغة الإنجليزية بالكامل... لتضرب كتفي برقة.

يا الله، ما بال هذا المكان بحق الله؟ يُفترض أن يكون هذا فريقًا من قوات المباحث التايلندية المتعاونة مع (الإنتربول)، كيف يكنَّ بهذه السفالة؟ ضحكن جميعهن وهن ينظرن لي، بينما أحاول قدر المستطاع أن أتحاشى التقاء أعيننا. نفثت (كو) دخان سيجارتها وأكملت:

«حسب تقصياتنا عن فتاكم (مروان)، فقد عرفنا ارتياده لمرقص (بلاي بلاي) بكثرة... وكل الفتيات والعاملين هناك يعرفونه حق المعرفة، نستطيع أن نقوم بعمل كمينٍ له و نداهمه كفتياتٍ جدد يعملن هناك، وتكون معنا بالداخل ونتكفل نحن بالقبض عليه وتسليمه لك في غرفة استجواب»

صمتت لتسمع إجابتي وردة فعلي على كلامها، وكلي آذانٌ صاغيةٌ لها لسوء لهجتها الإنجليزية... الرياح تتلاعب بشعرها الأملس... لِمَ أشعرُ أن النظر لها خيانةٌ لـ (أسرار) رغم طلاقنا؟! اقتنعتُ بعد انفصالي أن الطلاق ليس انتهاء المشاعر والحب بين الطرفين، هو فقط انتهاء للعلاقة والوصل... أما المشاعر فلا تختفي ولا تتلاشى ولابد أن تعود بعد زمن حتى لو حاول الإنسان جاهدًا إخفاءها.

«حسنا، تبدو خطة جيدة... سنكون وحدنا هناك دون دعم؟»

حاولتُ اختيار أسهل الكلمات الإنجليزية حتى لا تتيه قائدتهن (كو فانج) هذه، والتي أرجو الله أن تدعني وشأني ولا تقربني.

تحدثت باللغة التايلندية للفتيات ضاحكةً، ليطلقن جميعهن ضحكاتٍ عاليةً كادت تسمعها الدول الساحلية المجاورة... حتى أن من حولنا التفتوا لنا.

«أنت لا تثق بالنساء أليسَ كذلك؟ سترى أداءً جيدًا أيها النقيب في هذه المهمة، ولا تقلق فرجال الشرطة سيكونون في الشارع المجاور استعدادًا لأي مفاجأة»

قالت وهي تقهقه، لتأخذ نفسًا طويلًا من سيجارتها.

«ليس الأمر كذلك لكن، المهم متى سنقوم بالمهمة؟»

وضعتُ جوز الهند جانبًا وأنا أنظر لهن أَخَيْرًا بعد أن لعبن بأعصابي لوقت طويل... لكن هذا لن يستمر بعد الآن.

«غدًا، وستُريك الملازم (كو) وفتياتها كيف سيُسقطن رجلكم دون احتياج لأي رجال»

قالت وهي تمُد لي علبة السجائر، هززتُ رأسي وأنا أدفع العلبة نحوها بهدوء قائلًا:

«جيد أيها الملازم، غدًا هو اليوم المنشود إذًا»

أومأت لي وهي تتبسّم قبل أن تبدأ بمصافحة فريقها متمنيةً لهن الحظ الطيب. وقفتُ ونفضتُ الرمال عن ساقي المكشوفة، لتقول لي (كو) وهي تنظرُ:

«إلى أين يا (أديم)، ألن تتناول معنا الغداء ونتسلى قليلًا ونحتفل؟»
هززتُ رأسي مبتسمًا وهي تضحك، حركتُ ساقي لمغادرة الشاطئ إلا أني شعرتُ

بيدٍ ناعمةٍ تلامس قدمي... نظرتُ لليد

الممتدة لأرى إحدى الفتيات تغمز لي ضاحكةً. غادرتُ على عجل

وكلي خجل، آهٍ كم اشتقت لـ (السعودية)... تباً لهذه البلدة... ربنا

أخرجنا منها فإن عُدنا فإنا ظالمون.

****

وحدةٌ قاتلة، لا أحد للحديثِ معه في هذه البلاد... ولا رغبة لي في التعرف على أحد ولا أستطيع لشدة سرية المهمة. هذه إحدى الليالي العصيبة التي يرهقني فيها التفكير ، ووضع أسوأ الاحتمالات التي قد تقع ليوم الغد... ماذا لو كان كل ما بنيته مجرد وهم؟ ماذا لو كان (مروان) مجرد عربيدٍ لا علاقة له بالطائفة، هو وثلة أصدقائه أولئك؟ ماذا لو وماذا لو وماذا لو ، تكالبت علي وسببت معركةً عنيفةً داخل عقلي... علي التوقف بحق وإشغال ذهني بأي شيء.

عادةً ما ألجأ لشخصٍ حين تتحد ضدي ظروف الحياة، ويغزو الضيق صدري ويصيب الغم قلبي... لكني لم أعد أستطيع اللجوء لله الآن... (أسرار). ضمةٌ واحدةٌ منها فقط كانت كفيلةً بتخفيف الكثير عني، لاستنشق رائحة عطرها الزكي من تلك الضمة... بالحديث عن أيّ شيءٍ كان يؤرقني...لتخرج الكلمات من فمها وتطمئنني أن الحياة لا تزال بخير وأنها لم تنته. كم أحتاجها بجواري الليلة، كما قالت (نوال الكويتية)في أحد أغانيها التي تصف حالتي الآن: «أبيك بجنبي الليلة» لتنتصف الأغنية ويأتي هذا الجزء:

«غيابك علّم الدنيا تغيب وتذبل وتحتار

وعلمني عليك أبكي وألوم النفس وأقهرها

أبي ترجع تسولف لي تعلمني وش الأخبار

أنا أحب أختصر عمري في ليلة جنبك أسهرها»

قاطعَ تخيّلاتي البائسة لتلك اللحظة رنينُ هاتفي، آهٍ كم تمنيتُ أن تكون (أسرار) لأي سبب... حتى لو كان اتصالاً عن طريق الخطأ. لا، لكن المتصل كان الشخص الذي لا يمكن أن ينساني أبداً... على الرغم من نسياني له في بعض الأحيان. أختي الكبرى (أبرار).

«كيف حالك يا (أديم)؟»

قالت بصوتها الذي امتلأ عطفاً على أخيها الوحيد.

«الحمد لله، كيف حالك وكيف حال (نسمة) و (منذر)؟»

«كلنا بخير ولله الحمد»

مرّت لحظةُ صمتٍ قاتلة قبل أن تقول:

«تحدث، أخرِج ما بجعبتك... ماذا بك ؟ صوتك لا يبدو بخيرٍ البتة» منذ أن كنا صغارًا وأنا أتساءل كيف كانت تعلم، وكأني كتابٌ مفتوحٌ أمامها تقرؤه كلما أرادت.

«لا شيء يا (أبرار)، أنا فقط قلقٌ على المهمة غدًا»

«منذ أن كنا صغارًا وأنتَ تكذبُ علي حين أسألك عن حالك، ألم تتعلم بحلول بهذا الوقت؟ أنا أختك الوحيدة وكأني توءمك، أعرفك أكثر مما تعرف نفسك يا أخي . ما الذي يقلقك أيها النقيب في المهمة؟»

قالتْ وهي تضحك، اللهم أدِم ضحكتها ولا تحرمني إياها. بادلتُها الضحك قبل أن أدلي بدلوي عندها:

«كل ما حدث كثيرٌ علي، موضوع الانفصال أولاً والذي لا أعلم متى سأتخطاه... وصديقي المفقود الذي لا أعلمُ مصيره.... لا أعلمُ أحيٌّ هو أم ميت .وزوجته وبنتاه على الصعيد الآخر ينتظرن قدومه في أي لحظة، ولا أستطيع

أن أخذلهن أبدًا لكني لا أملك سوى بذل الأسباب. ضعي كل هذا على جانب، وموضوع أن التحقيق هذا يعتمدُ علّي بالكامل... وخطوة ملاحقة رجل الأعمال هذا إلى هذه البلاد وملاحقة أعوانه عرضتُها وحدي... وسأتحمل الملام والمسؤولية الكاملة في حال فشلها . ناهيك عن الأماكن القذرة التي تحتم علي دخولها فى هذا الشهر الكريم، والأشياء المهولة التى رأيتُها ولا ...»

«(أديم) (أديم) (أديم)، هي هيي. اسمعني جيّداً، أنت مجرد عبدٍ من عباد الله وسبب من الأسباب وقد قلتَ هذا بلسانك. لا أقصد مقاطعتك لكن هون عليكَ يا أخي أنتَ اجتهدتَ وعملتَ بالأسباب... عليك أن تضع ثقتك بالله ولن يضيع تعبك. لا تنسَ أن الله هو عونك دائمًا في كل تحقيقاتك وهو الذي أوصلك لهذه المكانة بين المحققين ورجال الأمن، فقط ثق به الثقة الكاملة. لا تنسَ أيضًا يا أخي أن للضرورات أحكامًا وهي تبيح المحظورات . وما قمتَ به في هذه البلاد لستَ محاسبًا عليه بإذن الله... وتذكر أن غايتك نبيلة دائمًا . وأما صديقك (مسعود) فهو في حفظ الله كما نحنُ جميعاً في حفظ الله ، ويسعى خلفه رجلٌ بعد الله هو من أكفأ قوات المباحث... لا تنسَ أنك النقيب (أديم أحمد)!»

ضحكتُ بعد جملتها تلك وقد لمعت عيناي بالدموع بعد كلامها، كنتُ في أمس الحاجة لسماع ذلك الكلام ! دائمًا ما أردد أن الجميع يحتاجُون أبرارًا في حياتهم، وقد تأتي على هيئة أخت أو أخ أو صديق... فقد خفف كلامها الكثير عني وحط من ثقل همومي.

«اخلد للنوم الآن وتذكر أن الله معكم ولن يخيبكم، وتذكر دائمًا نُبل وبسالة ما تقوم به... تصبح على خير ومتيقنةٌ أنك ستبشرني غدًا بنجاح المهمة بإذن الله»

أغلقتُ الخط بعد أن ودعتُها بصوتِها المطمئن، لأغلق الستائر وأُطفِئ الأضواء وأرتمي على السرير... مُطلقًا تنهيدةً عميقةً وقلبي يتمنى أن تتم المهمة بكل سلاسةٍ وسلام.

ليتها تُمحى

أوشكت الشمسُ على المغيب، ونسيمُ الليل العليل بدأ الهبوب... أخيراً... لقد كان يوماً طويلا بحق.كأن الشمسَ تأبى تحجب ضوئها وأشعتها الحارقة عن مدينة الخطيئة، لتنتقم منهم على هول المناظر والفعائل التي تراها كل يوم. نظرتُ لساعتي وأيقنتُ أن الوقتَ قد حان لدخول الملهى الليلي، دقاتُ قلبي تتسارع وآلاف الأفكار التشاؤمية تدور برأسي... إلهي لا تعذبني. أطلقتُ نفسًا عميقاً ودخلت، ليستقبلني أنواع الفتيات اللائي أمسكنني من أماكن غير لائقة... وكان علي التأقلم وإظهار أني سعيد ومنتشٍ للغاية، سحبتني اثنتان منهن وأجلستاني أمام منصة الرقص، وأضواء المرقص تتحرك في كل اتجاه والموسيقى الصاخبة لا تتوقف. نظرتُ للراقصات وسألتني النادلة عن مشروبي، لتستغرب من طلبي و تضحك... ماء فقط. لن أضع الخمرة في فمي، هذا ليس مؤثرًا في المهمة إطلاقًا... وسأكونُ مخطئًا إن اعتقدت خلاف ذلك.

طلبت الفتاتان ما أرادتا من مشاريب كحولية، وعيني على منصة الرقص في انتظار اللحظة المنشودة. كان المرقص مزدحماً بالزبائن، لكن ذلك لم يمنعني من مراقبة باب الدخول دون أن أجذب الانتباه... وياله من عملٍ مرهق أن أظهر الاهتمام والانشغال بالفتاتين وأراقب منصة الرقص وباب الدخول، ترقُّباً لدخول (مروان) في أي لحظة. اتفقت السلطات مع مديرة المرقص وأخبرتها هي فقط بالمهمة، وحتى إخبارها بالمهمة كان مخاطرةً كبيرة.

حسنًا، هاهو ذا العجوز القذر يدخل في التوقيت ذاته الذي أبلغوني به... بجسده البدين المترهل وقميصه الكاشف لأكتافه..... وعيناهُ تلمعان بنشوةٍ عاليةٍ حين استقبلته مديرة المرقص. صاحَت الفتيات لحظة دخوله وصفقن بحماسة، حتى الفتاتان معي صاحتا بأعلى صوتهما... لترتسم ابتسامةٌ شهوانيةٌ مقززة على وجهه. لم يكذبوا حين قالوا إن هذا البهيمة زبون دائمٌ للمكان. أجلسوهُ وتحاشيتُ النظر له بعد تلك النظرة، فقط اقتنصتُ مكان جلوسه وعدتُ للنظر للمنصة والحديث الزائف مع الفتيات.

لحظاتٌ وأُطفئت إضاءات المرقص كلها، وأطلقت الأجهزة دخانها الكثيف قبل أن تعلن المسؤولة عن وصول فتاةٍ جديدة.... ليصفق الجميع ويعود المكان لهدوئه التام. انطلقت الموسيقى الصاخبة على فجاءة واقتحمت الفتاة الجديدة ساحة الرقص، لتستر عورتها قطعتا ملابسَ فقط... مظهرةً جسدها الحنطي وطولها الشاهق وشعرها الأسود يتحرك متلائماً مع حركات رقصها المتقنة. حسناً، يبدو أن لـ (فانج) ماضِيًا فى هذا المجال ولا أود أن

أعرفه، ولِمَ أنا مستغربٌ على أية حال؟ استمرت بالرقص والتمايل حتى صفق لها كل من في المرقص، ونزلت من على المنصة بكل غرور... لتمشي نحو الزبون الذي طلب منها الجلوس معه... . .. والذي لم يكن سوى الكلب (مروان) .

تحاشيتُ النظر مجددًا فيه حتى لا تُثار شكوكه، مُنتظِرًا سماع الأغنية المنشودة التي اتفقنا أن تكون إشارتنا. استعدتْ أقدامي وتأهبت للوقوف، مُتيقناً عدم وجود أي شيءٍ يعرقل حركتي. أجزاءٌ من الثانية مضت بعد بدء الأغنية، لأشهر سلاحي وأتقدمَ بسرعة نحو فتانا المنشود.

ارتفعَ صراخُ الفتيات ونظرتُ للمشهد، كانت العميلة (فانج) قد ثبتت المسدس على رأس (مروان) وهي في حجره بوضعٍ مُخِل... بينما رفع هو يديه مُقطّبًا حاجبيه عابسًا. قامت من حجره وتراجعت بهدوء، لأقِفَ بجوارها شاهرًا مسدسي بوجهه... ولحقنا فريقُ الفتيات سريعاً.

«لقد أرغمتني على فعل الكثير ورؤية أمورٍ لم أكن أتمنى أن تأتي حتى بأحلامي، تبًّا لك»

قلتُ باصقًا على الأرض، ووجههُ ينمُّ عن حقد شديدٍ اختلط بخوف وعدم فهم.

أخرجته الفتياتُ للخارج بعد أن وضعت إحداهن الأصفاد حول يديه، ومشيتُ مع (فانج) للخارج وهي تشكرُ مديرة المرقص بلغتهم.

«أخبرتك أن تثق بي وبفريقي»

قالت بإنجليزيتها السيئة، لتغمز لي وهي تدفع كتفي بلُطف... افعلي ما شئتِ الآن و(مروان) بحوزتي.

مُخاطرة

ما هذا المكان المُروع؟ من أين أتيتِ به أيتها العميلة؟ مروعٌ للغاية لي أنا المحقق فماذا عن المتهم؟ المكان مبتل، السقف متصدعٌ يتسربُ منه الماء... ورائحة المجاري تملأ المكان. بدا التوتر والقلق في وجهه الممتلئ بالشحوم والدهون، وجبينه ورقبته يتصببان عرقاً. تقول (فانج) إن هذا المكان تقهقر فيه أعتى المجرمين وأشرسهم، ناهيك عن هذا الأحمق الذي يبدو أنه لن يصمد كثيرًا. جلستُ أمامه صامتاً جامداً دون أن أنطق بحرف، لأزيد من توتره القاتل... لم أنطق بحرف ، منذ أتينا به إلى هذا المكان... قررتُ أن أستخدم معه هذه الاستراتيجية قبل كل شيء عله يعطيني أكثر مما أريد منه. لم أشأ أن أؤخر التحقيق معه حتى نعود لـ(السعودية)، لا وقت لدي لأضيعه ورفيقي مجهول المصير... بينما أمثال الحقير الجالس أمامي أحرارٌ طلقاء. كان ينظُرُ لي بحنق وهو مكبّلٌ على الكرسي الصدئ، شادًّا قبضتيه وفكّيه.

«ما الذي تريده مني؟»

«ألا تعرف من أنا أيها اللعين؟»

«أنت لا تعرف حجم المصيبة التي أوقعتَ نفسك بها !»

وعلى هذا المنوال استمرّ بالحديث وأنا صامتٌ لا أنطق، وملامحي جامدة لا تُظهِرُ أية مشاعر... فقط أنظُرُ له بصمت.

تحاملتُ على نفسي لتحمُّل رائحة المكان الكريهة، والتي لا أعلم كيف لم أتقيأ حين لامست أنفاسي. حان وقت أخذ المخاطرة الأكبر في هذه القضية، وإن لم تنجح فسينهار كل ما بنيناه... لكن كان علي أخذُها لقلب الموازين.

«إلى أين؟»
صاحَ حين رآني أقفُ من مكاني وأُغادر ذلك المكان الجحيمي، تاركًا إياه بصياحه المزعج. دفعتُ الباب الحديدي الصدئ ليُصدِرَ صريرًا مُزعِجًا للغاية، خرجتُ

وأغلقتُ الباب دون اكتراثٍ بصريره الذي يصمُّ الآذان. التقيتُ (فانج) التي جلست أمام شاشة كاميرات الغرفة مُراقِبةً بصمت، مُستمعةً لما يدور بالداخل على الرغم من عدم فهمها للغة العربية... وسيجارتها تستقر في يدها التي تلونت أظافرها بالأحمر، ناولتني الملفات المنشودة ونظُرها لا يزالُ مرتكزًا على الشاشة، دون أن تأخذ الوقت حتى لتغيير لباس رقصها الفاضح... ومعها اثنتان من الفتيات تراقبان بصمت وتركيز.

عدتُ لـ(مروان) والملفات في يدي، لأعودَ للجلوس أمامه صامتاً... لكني هذه المرة بدأتُ التحديق المخيف في يده اليُمنى.

«ما الذي تنظرُ له؟»

سأل بحنق دون أن أتحدث ،ليبدأ تقليب كفه كالمجنون... حتى استقرت عينه على ذلك الوشم... لترتفع للنظر في وجهي. تبسّمتُ بخُبث بعد أن نظرَ للوشم الذي التقطتُهُ منذ قبضتُ عليه، نجمةٌ خماسية وُشمَت برسغ يده اليُمنى... مما جعل قلبي يطمئن قليلًا أننا قبضنا على الشخص المنشود إن شاء الله.

اعتدلتُ في جلستي فقد تغيرت ملامحه بعد معرفته أني لاحظتُ النجمة الخماسية، ونطقتُ أخيرًا بعد سكوتٍ طويل:

«حسنًا أيها السيد (مروان)، انتظر انتظر... أنتَ لا تستحق حتى لقبَ سيد أيها الحثالة رغم تقدمك في السن. حسنًا (مروان)، دعنا لا نضيع الوقت وننتهِ من هذا الاستجواب بأسرع وقت... فلا أريد المكوثَ دقيقةً واحدةً في هذا البلد. لقد اعترفَ رفاقك (عبدالغني) و(عبدالرحمن) و (أحمد) بكل شيء ووقعوا وبصموا على اعترافاتهم لتخفيفِ العقوبة عنهم، وكان قرارًا ذكياً منهم فالقضية أصبحت خطيرةً تمس رجال الأمن... من الجنون الاعتداء على مدير شرطة، ألا تعتقد ذلك؟»
أريتُهُ الملفات التي كانت البصمات وتوقيعات رجال الأعمال ظاهرةً بعد كل اعترافٍ فيها، وهو يقطّبُ حاجبيه وعنده الكثيرُ والكثيرُ من الأسئلة.

«اختطاف رجل أمن، اختطاف وقتل ست عشرة فتاة، ممارسة السحر والطقوس الشيطانية، وغيرها الكثير من الجرائم... والتي توصلك لعقوبة الإعدام بلا شك»

قلتُ بحدة متبسماً، لأُشير لرقبته بعد كلامي ذلك وأرى الخوفَ في عينيه رغم محاولته لإخفائه. أريتُهُ بعضَ صور الفتيات الهاربات، مُحاوِلًا مخاطبة كل شعورٍ داخله... لن أدع أي فرصةٍ تضيع من يدي. كل ما قلتُهُ كان خطيرًا جدًّا ومبنيًّا على استنتاجاتٍ محضة، وادعاء كل ذلك كان سيودي بالتحقيق للهلاك... وكان ليضعَ (مروان) في موقع قوة إن لم أكُن مُحِقًّا في ادعاءاتي.

«وتستطيع التعاون معنا وإخبارنا جانبك من القصة، قبل أن يقع كل شيء على رأسك... رأسك وحدك فقد اعترفَ الجميعُ وأخذوا الصفقة التي عرضناها لهم»

«عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذه النسخة على شكل كتاب مطبوع فتأكد من أنك تقرأ نسخة مسروقة وليس لمن طبعها الحق في البيع والشراء.. وهذه النسخة بالأصل هي نسخة إلكترونية تم تجهيزها من فيلق مكتبة ضَاد الإلكترونية على تطبيق تيليجرام! فتأكد من أنك تحمّل هذه الرواية وتقرأها من قناتنا الرسمية. نعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة..

وقفتُ من مكاني مرةً أخرى لأدعه وحده مع أفكاره وتوجساته، لكني لَحَظتُ شيئًا غريبًا... أهذه دموعٌ تتساقط من عينيه؟ عدتُ للجلوس وقلبي يكادُ ينبض خارج جسدي ،أهو على وشك الحديث وإراحة قلبي أخيرًا؟

«لقد أخبرتهم أن نتوقف، كنتُ أريد الخروج من تلك الطائفة بأي طريقة... لكنهم هددوني بإسقاطي معهم إن توقفت ! كنتُ أقول لهم

إني لن أنطق بحرفٍ للسلطات، وسأستمر بممارسة حياتي بشكلٍ طبيعي ... لكن هذا لم يكُن خيارًا متاحًا عندهم... لعنهم الله! لم يكُن من المفترض أن تموت (ريحانة)»

كانت الدموع تتساقط من عينيه رغم محاولته كبتَها، لينهار بالبكاء بعد ذلك... لآخذ نفسًا عميقًا... سر هذه الطائفة والقضية على وشك أن ينكشف لي... بعد أن أخذتُ مخاطرة ادعائي بمعرفة كل شيء.

«كل شيء ابتدأ مع (بركات) و (نعمان) وتلك النجسة العجوز (نجلاء)»

ماذا؟! وما دخل مديرة دار الأيتام (نجلاء) بكل ما حدث؟!

(جـــــــــدة)

شعبان، ١٤١٨ هـ

وابتدأ كل شيء، بل انتهى

«نعم، نعم ، اعترف أني أقوم بكل هذا لكني لن أخاطر بعمله هنا!»

قال (مروان)، آخذًا نفسًا عميقًا من شيشته لينفث دخانها مُحاوِلاً التقليل من توتره.

«أيها الجبان، أين المخاطرة؟! كل اللائي سنحضرهن لن يبحث عنهن أحد، فتيات من دور الأيتام أو هارباتٌ من أهليهن. وسنتخلص منهن بمجرد الانتهاء منهن»

امتعضَ (نعمان) وهو يُشعل سيجارته الكوبية، مقطّبًا حاجبيه وهو يُشيحُ بنظره عن (مروان) ليوجهه نحو (بركات). أشار الأخير لـ(نعمان) بيده ليهدأ ويصبر ، مومئاً برأسه وقفَ من مكانه وتوجه خلف كرسي (مروان)، ليقول له خلف أذنه:

«تخيل معي أن تغادر من إحدى شركاتك أو اجتماعاتك، وتتوجه لتلك الفتاة الجميلة التي ستكون بالتأكيد في انتظارك... دون أن تنتظر إذناً منها»

ضحكَ (عبدالغني) و(عبدالرحمن)، ليتبعهما (بركات) وهو يصافحهما بحرارة وحماس... بضحكاتهم الشهوانية الحيوانية. بدا وكأن الفكرة ابتدأت تروق لمزاج (مروان) ، وهو يفكر مطوّلاً وكأنه مشروعٌ جديد تجاري هو على وشك دخوله.

قال (أحمد) وهو يقسم مسحوق (الكوكايين) ببطاقةٍ بنكية على الطاولة:

«أنا مؤيدٌ لهذه الفكرة وبشدة، لقد سئمت من السفر للخارج للحصول على النساء... بالإضافة إلى أنها ستكون تجربةً جديدةً لم يسبق لها مثيل ... أود رؤية الخوف في أعين أولئك الفتيات بينما أقوم بـ ... »

«حسنًا حسنًا قبل أن يصف لنا (أحمد) ما يقوم به في غرفة نومه، الشيء الذي لا يريد أحدٌ منّا سماعه أبدًا»

قاطعه (بركات) وهو يتبسّمُ بخُبث، قبل أن يربت على كتفه ويعودَ لمقعده.

كان رجال الأعمال أولئك يجلسون حول طاولة دائرية مذهّبة، في غرفةٍ بأعلى طابقٍ بأحد الأبراج التجارية... لم يكونوا وحدهم بالتأكيد... بل رافقتهم عقولهم القذرة التي تصدأت... وشياطينهم الملاعين الذين ساندوهم وحفزوهم على أفكارهم تلك. «حسنًا حسنًا، من سيحضر لنا أولئك الفتيات؟»

سأل (مروان) وخرطوم الشيشة في يده، بعد أن أثارت فكرتهم تلك اهتمامه أخيرًا.

«وهل هذه ستغيب عني يا (مروان)؟ ادخلي يا (نجلاء)»

قال (نعمان) رافعًا صوتَه ليسمعه من بالخارج، وبابُ الغرفة كان موارباً على أية حال ولم يتم إغلاقه.

دخلت (نجلاء) للغرفة بنقابها لتتسلل رائحة عطرها للأنوف، وما ن أغلقت الباب خلفها حتى نزعت النقاب والعباءة ورمت بهما على لأرض... متبسّمةً في وجوه حفنة رجال الأعمال القذرة تلك... حسناً ... هم لا يستحقون تسمية رجال حتى.

«(نجلاء) هنا، مديرة (دار...)... ستجلب لنا أنواع وأشكال الفتيات اللاتي لن يبحث عنهن أحد... إما مقطوعاتٍ من شجرة أو قد نبذهن المجتمع»

قال (نعمان) بعد أن قبلته (نجلاء) وجلست على حجره، موزّعةً نظراتها اليافعة لحفنة الأثرياء أولئك.

«سنحضر الفتيات ونجعل الأمر يبدو لأهليهن وكأنه هروب – إن وجد لهن أهل أصلا - وبتلك الطريقة يسهُلُ استسلام الأهل والسلطات عن إيجادهن، وسيقتنع الجميع أنهن لا يستحققن البحث عنهن مطوّلًا أصلًا، فقد تركن بلادهن بمحض إرادتهن. وبمجرد انتهائنا منهن سنتخلص منهن بأي طريقة، فسيصبحن كالقنابل الموقوتة إن أطلقنا سراحهن.... ولا نستطيع المخاطرة بهذا الأمر»

شرحَ (بركات) وهو يوزع نظراته بين أولئك الأثرياء، ولعابهم يكادُ يسيل لتلك الفكرة الحيوانية ... كل ذلك فقط لإضافة القليل من التسلية في حياتهم التي أصبحت مملةً لهم ! أكملَ قائلا:

«وفوق كل ذلك وإن كان الخوف لا يزال ينتاب بعضكم،

فسنجعل الأمر يبدو وكأنه عملُ طائفة تعبد الشيطان... تحسُّباً في حال خرجت الأمور عن السيطرة واضطررنا إلى الهروب ومغادرة كل شيء خلفنا ... فالياس يصيبُ رجال الشرطة غالباً حين يمس الموضوع الأمور غير الطبيعية المتعلقة بالجن والشياطين! »

«أنا معكم»

قال (عبدالغني) رافعًا يده.

«وأنا أيضًا»

تبعه (أحمد)، بعد أن استنشق بعضَ (الكوكايين).

وافقَ الجميعُ حتى أتى الدور لـ(مروان)، والذي سكتَ للحظاتٍ قبل أن يقول: «اللعنة، لمَ لا؟ **معكمممم**!»

صاحَ الجميعُ بعد جملته حتى (نجلاء)، أما (بركات) فقد اكتفى بالابتسام فقط.

«هذه تستحق احتفالًا وجولة لعب!»

قال (عبدالرحمن) قبل أن يقوم ويُحضِرَ لهم أوراق القِمار ورقائقها الزرقاء والحمراء ... ليزيد حماسة الرجال الصدئين ... دون أن يعلموا بشر مستطيرٍ سيلاحقهم بعد عدة سنوات.

(الـــشـعـيبـــة)

شعبان، ١٤١٨ هـ

طقوس شيطانية

«باسمك يا مسلوب العرش، الشيطان الأكبر إبليس... نقدم هذه الفتاة اليافعة (صباح) كتضحية لك»

نطقَ ضاحكًا وهو يحمل السكين ويمرره على رقبتها، وقد اختبأت ملامح وجهه خلف قلنسوة عباءته البرتقالية. كانت تصرخ وتصرخ، إلا أن ذاك الصراخ كان مكتومًا بحبلٍ ربط حول فمها.

استمرت دموعها بالتساقط على وجنتيها السمراوين وهي تنظر حولها، محاولةً الاستغاثة علها تحرك الرحمة في قلب أحدهم بعينيها الدامعتين تينك... آلمها ما فعلوه بها ... لكن ما آلمها أكثر هو عدم إلمامها بالسبب.

لم يكُن حامل السكين ذو العباءة البرتقالية سوى رجل الأعمال (نعمان) ،وبجواره (بركات) بالعباءة البرتقالية ذاتها... مبتسمًا نصف ابتسامة وهو يرى الارتعاد في عيني تلك الفتاة التي جثت أمامهم. وقفَ بمقابلهم حفنة رجال الأعمال الباقين، بعباءات سوداء مفزعة ... وقد رُسمت نجمةٌ خماسية تحت الفتاة بالدماء.

«لقد عرف (نعمان) كيف يجعل التجربة أكثر متعة، يروقني أمر الطقوس الغريبة هذا!»

قال (عبدالغني) بصوتٍ عالٍ، رافعاً كأس (الشامبانيا) ليتبعه الباقون بمن فيهم (نجلاء).

لم يلبث أن قال (عبدالغني) عبارته حتى نحر (نعمان) تلك الفتاة كخروفٍ ابتاعه من سوق المواشي، لتتفجر الدماء من عنقها وتنازع الموت... ساقطةً على الأرض وعيناها لا تزالان مفتوحتين بدموعها التي تأبى التوقف حتى بعد مفارقتها الحياة... لتروي قصةً مأسوية عما حدث لها في آخر أيام حياتها.

كل ذلك لم يحرك شعرةً في حفنة الأوغاد تلك، بل زادهم فرحًا ومتعة بما جربوه ورأوه أمام أعينهم.

(الـــشـعـيـبـــة)

شعبان، ١٤٢٣ هـ

بلا مبادئ

مشى (بركات) والشرر يتطاير من عينيه، متخطياً سلسلة المكاتب في تلك الشركة الكبيرة... شادًّا قبضتيه وفكيه. لم يكُن ينوي خيراً أبداً، وكل من رآه ابتعد عن طريقه فورًا دون تفكير. وصلَ أخيراً للمكتب المنشود، نظرَ قليلًا للوحة المعلقة أمام المكتب...

أ. (نعمان بن .....) أخذَ نفسًا عميقًا وفتحَ الباب بعنف دون أن يطرقه، ليرى (نعمان) خلف مكتبه وقد جلس أمامه أحد التجار الكبار.... والذي استاءَ كثيرًا من تلك المقاطعة والوقاحة.

«نحتاج أن نتحدث!»

قال (بركات) ونظراته تكادُ تقتل (نعمان). «(بركات)، انتظرني قليلًا أرجوك... أعتذر منك أستاذي على هذه المقاطعة»

قال (نعمان) محاوِلًا تهدئة صديقه الغاضب، ولا يريد مقاطعة هذا الاجتماع المهم.

«سنتحدث الآن! تستطيع عقد هذا الاجتماع لاحقاً»

أصرَّ الكهلُ الغاضب وعاند ، ليخضعَ (نعمان) أخيرًا ويقول زافرًا بعمق :

«أعتذر منك أستاذي هّلا أكملنا هذا الاجتماع لاحقاً...

سيتواصل معك مكتب السكرتارية لتحديد اجتماع آخر....»

لم ينتظرهُ التاجر وغادر مكتبه غاضبًا، ليغلقَ (بركات) الباب بعنف ويقترب من (نعمان) اقترابًا أظهرَ الخوف في عيني الأخير مما جعله يقطب حاجبيه ويبتلع ريقه بصعوبة ليتساءل:

«ما الأمر يا (بركات)؟»

«لا تلعب دور البريء، أنت تعلم بالضبط السبب الذي جاء بي لشركتك اللعينة!»

حاول السيطرة على غضبه قدر المستطاع، ولولا محاولته لأشبعَ (نعمان) ضربًا.

سكتَ الاثنان واحتدم التوتر بينهما، (بركات) يسلط نظراته القاتلة والآخر يحاول تفاديها قدر الإمكان.

«حسنًا، أنا لا أفهم رفضك للفكرة أصلًا... فقررت القيام بها لأريك حجم المبالغ الطائلة التي ستنهال علينا من كل صوب. وعِوَضًا عن قتل أولئك الفتيات، نتسلى بهن ثم نبيعهن لمختلف التجار من مختلف أنحاء العالم... صدقني يا (بركات) أنت المستفيد الأول والأخير و...»

يالبجاحتك وجرأتك فعلتها دون علمي ليصلني الخبر من اللعين (مروان) متى كنت تنوي إخباري؟ هاه؟ ألا تعرف خطورة ما تقوم به ؟!»

«كنت أنوي إخبارك والله لكني كنت أنتظر الوقت المناسب، وكلنا موافقون على الفكرة عداك أنت. ولا أعلم أي مبدأ هذا الذي تملكه، حيث توافق على اغتصابهن وقتلهن لكنك تأبى بيعهن . أنا خططتُ لكل شيء ولن يتم كشفنا أبدا وسيتم تغيير هويات الفتيات لبيعهن في (تايلند) أو (جنوب أفريقيا) وعدة دول أفريقية ودول بـ (أمريكا الجنوبية) ...»

شدّه (بركات) من ثوبه ليوقفه رغماً عنه ويقول مقاطعًا:

«ألا تعلم أن هؤلاء الفتيات اللاتي ستبيعهن سيكُنّ دليلًا ضدنا؟!
ألا تعلم عقوبة الاتجار بالبشر ؟ العقوبة دولية أيها الأحمق! حتى لو بعتهن في القطب المتجمد الشمالي تبقى مخاطرة العثور عليهن عالية! ولا تتحدث عن

مبادئي يا عديم المبادئ، أراك أعطيتَ نفسك أكبر من حجمها وقد كنتَ وضيعاً ذليلاً ومجرد تاجر صغير... أنسيتَ الذي ساعدك وساندك وصنع منك شيئًا! حتى البقية أنا الذي ساعدتهم في تضخيم مشاريعهم وتجاراتهم حتى استطاعوا الوقوف وحدهم»

صمتَ (بركات) وهو ينظر لـ (نعمان) بحنق واستحقار، ليُفلت ثوبه ويرميه على كرسيه... ويغمض عينيه مطلقًا تنهيدةً عميقة.

«ستتوقف عن بيع البشر هذا الآن، وتنزع الفكرة من رأسك ورأس البقية... وإلا فسأكون أنا من يبلغ الشرطة ضدكم حتى لو زجوني في السجن معكم ! ولا تنسَ من كنتَ يا (نعمان)! لن تتخذ القرارات دون موافقتي وعلمي، أسمعت؟»

قال (بركات) منتظرًا الرد ليومى له (نعمان)، فيُعيد سؤاله مجددًا :

«أريد أن أسمعها منك قل لي إنك سمعت وفهمت!»

«سمعت وفهمت»

صاحَ (نعمان) وغادرَ (بركات) المكتب، حاسمًا الجدل دون أن يترك لـ (نعمان) فرصةً للتحدث... هازًّا رأسه بعد أن كان على وشك لكمه وضربه.

سيُسقى بما سقى

«حسنًا، اعرضها عليَّ غدًا فقد انتهت طاقتي لليوم»

قال (بركات) مُنهِيًا المكالمة، واضعًا هاتفه المحمول في جيبه...

ليفتحَ له بستاني الحديقة باب الفيلا. مشى في حديقته الممتلئة بمختلف أنواع الزهور والشجيرات، وقد أرهقته متاعب حياة رجال الأعمال... ليبدو ذلك الإرهاق في عينيه اللتين كانتا نصف مفتوحتين. دخل للفيلا لتغلق الخادمة الباب خلفه، ويصعد السلالم التي توسطت الفيلا بشكل دائري... مستعدًّا للارتماء على فراشه في أسرع وقت. اتَّجهَ لإحدى الغرف وطرق بابها بهدوء، قائلًا:

«(أمنية) تصبحين على خير يا حبيبة أبيك»

اتَّجهَ لغرفته إلا أن شيئًا ما استوقفه، لا إجابة... لم يسمع ردًّا من ابته كما اعتاد قبل خلوده للفراش. تراجع أدراجه وطرقَ مجدَّدًا:

«(أمنية)، هل أنت مستيقظة؟»

لا شيء، بدأ القلق يتسلَّل لقلبه الطاعن في السن... طرقَ مرة أخرى لكن أحدًا لم يُجِب.

«(أمنية)؟»

قال فاتحًا الباب بهدوء، ليرى إضاءة طفيفة في الغرفة... قادمةً من المصباح بجانب السرير... بتلك الغرفة التي امتلأت بالأثاث الأبيض وحاجيات الفتيات المبعثرة هنا وهناك. أنار الغرفة بالكامل وصرخَ باحثًا عن ابنته، مُتحرِّكًا بأنحاء الغرفة كالمجنون. سقطت عينه على ورقة كبيرة عُلِّقَت على المرآة، كيف لم يلحظها سابقًا رغم حجمها؟ نزعها وحرَّكَ عينه خلال الكلمات التي كُتبت فيها،

وقلبه يتأذى مع كل كلمة يقرؤها! استمرَّ بالقراءة علَّ الأمرَ يكونُ كابوسًا سيستيقظ منه، أو مجرد مزحة ثقيلة قامت بها ابنته.

أعاد القراءة مرارًا وتكرارًا، لعلَّ معاني الكلمات تختلف... لعله لم يفهم الرسالة جيّدًا المرة الأولى.

«أبي الغالي، لا أعلم كيف أكتب ما سأكتبه وكلي ندم على ما أنا مُقدِمة على فعله. أنتَ لم تقصر معي في شيء أبدًا، وقد أعطيتني كل ما أحلم به وأتمناه... قبل أن أتمناه حتى. لكني أريد الابتعاد عن هذه الحياة التي تسيطر فيها أنت على كل شيء، أنت تتحكم في الكثير من قراراتي من باب حمايتي وحرصك علي وأفهم هذا الأمر... لكني لا أستطيع العيش هكذا. سأرحل بعيدًا عن هذه البلاد وأبدأ حياتي الخاصة. أرجوك لا تتعب نفسك في البحث عني فلن أعود، أنا آسفة بحق على ما سيسببه قراري لك من أذى... وتذكر دائمًا أني سأبقى أحبك وستبقى والدي»

مؤلمة بحق، لكنه يعلم أن هذه ليست ابنته التي كتبت... فهذا هو الشيء الذي فعله سابقًا لكثير من الآباء... ليوهمهم أن بناتهم قد هربن. وفي حقيقة الأمر كُنّ مختطَفات ثم قُتِلن، وهاهو ذا الكهل القذر يتجرع مرارة ما فعله بغيره... وممن؟ ممن ظن أنهم أصدقاؤه. قالوها قديمًا: كُل ساقٍ سيُسقى بما سقى.

شدَّ قبضتيه وفكيه قائلًا:

«حسنًا أيها القذر (نعمان)، وصل بك الأمر أن تضع يدك على (أمنيتي)! سأفتح علينا كلنا أبواب الجحيم، ولا آبه بما سيحدث!»

حدَّثَ نفسه وهو يغادر الغرفة والورقة في يده، لينزل السلالم سريعًا... ويفتح باب الحديقة. اجتازها وهو يصفع كل غصن من شجيراتها، ليفتح باب الخروج ويركب سيارته الفارهة ويضغط دواسة البنزين بكل قوته. صوتُ دعسة البنزين

في تلك السيارة أزعج المدينة بأسرها، وكأنه يريد إخبارهم بما حصل له... حتى وصل للمكان الذي أراده. نظر مُطوَّلًا وكأنه بدأ يتراجع في قراره، ليُطفئ مُحرِّك سيارته ويحسم أمره... مُغادِرًا سيارته ليمشي لقسم الشرطة. تسارعت خطواته في صعود الدرج الطويل، وكأنه شاب ما زال في العشرينيات من عمره.

«السلام عليكم، أود الإبلاغ عن حالة اختطاف... عُذرًا حالات اختطاف و اغتصاب وقتل»

خرجت الكلمات من فم العجوز كالصاعقة على مسامع العسكري.

«حسنًا سيدي، تفضل معي»

أشار للعجوز ليدخل معه غرفة الاستجواب، وقد استعد للاعتراف بكل شيء... فالموضوع أصبح يمس أقرب الناس له.

دموع التماسيح

«لا ألوم المسكين في كل تلك التوهمات التي أصابت عقله، فما بدر من ابنته مؤلم للغاية وأشعر بالشفقة عليه. لقد نشبت العديد من الخلافات بينه وبين ابنته حتى وصل بي الأمر أن أفك نزاعًا حدث بينهما حين كنت في زيارته يومًا»

قال (نعمان) مُتصنِّعًا الحزن للضابط الذي جلس أمامه، حتى أنه أطلق دمعةً من دموع التماسيح... تلك التي يطلقونها بعد افتراسهم.

سكت الضابط لبرهة قبل أن يقول:

«حسنًا أ. (نعمان)، شكرًا لوقتك... وكن مستعدًّا لاستدعاء المحكمة للشهادة في أي وقت»

صافح الضابط وقال وهو يغادر غرفة الاستجواب:

«بالتأكيد، أي شيء من أجل صديقي (بركات)»

كان بقية رجال الأعمال ينتظرون دورهم في الاستجواب، (عبدالغني)، (مروان)، (عبدالرحمن)، (أحمد)... وحتى (نجلاء) كانت تجلسُ بعيدًا عنهم بنقابها. أولئك الذين اتهمهم (بركات) بخطف ابنته. غادر (نعمان) القسم ليتفاجأ بصديقه (بركات) داخلًا، ليهجم عليه الأخير وهو يصرخ:

«تمثل دور البريء أيها القذر، سأريك ما سأفعله بك وبهم! أين (أمنية)؟ أجبني»

انهالَ على (نعمان) بالضرب والأخير لم يُحرِّك ساكنًا، اكتفى بالصمت ودموع التماسيح... وكأنه حزين على ما أصاب صديقه من جنون... رغم سلامة عقل صديقه. هرع رجال الأمن للتفرقة بينهما. وسحب (بركات) بعيدًا عن (نعمان) وإدخاله للقسم... ليقول وهو يحاولُ التملص من قبضة العسكر وينظر لبقية

أعضاء الطائفة اللعينة:

«سأريكم أيها الأوغاد، تفعلون هذا بي أنا؟! أنسيتم أين كنتم وأين صرتم بعدي؟! أفلتوني أفلتوني واقبضوا عليهم! هاهم أمامكم وقد زودتكم بالقصة كلها! ما لكم كيف تحكمون؟ لقد أخذوا (أمنيتي) الوحيدة مني!»

استمر بالصراخ والعساكر يحاولون تهدئته والسيطرة عليه، لكن القهر أشعل فيه قوةً لم يروا لها مثيلًا عند رجل ستيني.

(الـــــشـعـيـــة)

شوال، ١٤٢٣ هـ

أكبر من أن يُعوّض

«تفضل معي أيها العم (بركات)»

قال الضابط وهو يمشي مع (بركات) ليصعدا درج القسم. كان الكهل قد ضعُفَ كثيرًا وهزل ووهن عظمه، اجتمعت الهالات السوداء تحت عينيه مما دلَّ على قِلَّة نومه بل انعدامه... حتى أن ظهره بدأ يحْدَوْدِب قليلًا. لم يكن السبب تقدُّمه في السن أبدًا، بل ما أصابه من همٍّ أثقل كاهله... ولم يَعُد يتملك الجبروت ذاته الذي حازه يومًا ما. أجلَسَهُ العسكري داخل غرفة الاستجواب وكله تعاطف مع ذلك الكهل المسكين، ليجلس أمامه صامتًا... دون أن يعرف طريقة ليبدأ بها الموضوع. استجمع رجل الأمن قواه بعد أن أطلق تنهيدةً عميقةً ليقول:

«أعتذر منك أيها العم (بركات) لكنا مضطرون لإغلاق ملف قضية (أمنية) كفتاة هاربة لعدم ثبوت أي دليل على الاتهامات التي قدمتها. وتحصل حالات الهروب هذه وليس بيدنا ما نفعله سوى الدعاء، أسأل الله أن يرد لك ابنتك وتعود لك سالمةً غانمة...»

لم يَعُد يسمع ما يقوله الضابط بعد خبره ذاك، فقد اسوَدَّت الدنيا في ناظريه وهو يغني ويداه ترتعشان من هول الصدمة:

«مااما زمنها جاية، جاية بعد شوية... جايبة لعب وحاجات. جايبة معاها شنطة، فيييها وزة وبطة... بتقول واك واك واك»

بدأ بعدها بالضحك الهستيري والهرطقة، فيغني تارةً ويتحدث تارةً عن أشياء عشوائية... وينادي ابنته تاراتٍ أخرى ويداه لا تزالان ترتعشان.

أُغمي عليه وسقط على الأرض، ليهرع الضابط لطلب المساعدة الطبية لذلك الكهل المسكين... إلا أن ما فقده لم تكن لترجعه أي مساعدات طبية ولو اتحدت... ما فقده كان أكبر من أن يُعوّض.

(الـــــشـعـيـيـــة)

شعبان، ١٤٣٣ هـ

وعند الله تجتمع الخصومُ

«حسنًا، سأنزع الشريط اللاصق من على فمك... لكن عليكِ أن تعديني أن لا تصرخي وأن تتهذبي. اتفقنا؟»

قال (مروان) وهو يقف أمامها، بعباءته السوداء دون أن يعتمر قلنسوتها، بينما جثت هي على ركبتيها رافعةً رأسها له... وعيناها العسليتان الواسعتان تكادان تلتهمان (مروان). لم تومئ له أو تعطه أي إيحاء بموافقتها، ورغم ذلك قام بنزع الشريط اللاصق.

انتظرَ لحظاتٍ إلا أن تلك الفتاة النحيلة لم تهمس، حتى أنه اعتقد للحظات أنها صماء.

«لا شيء؟ ألن تسألي من نحن ولِمَ أخذناك؟»

سألها وقد قطَّبَ حاجبيه، لم تَكُن (ريحانة) كبقية الفتيات اللاتي يختطفونهن... لم تذرف الدموع حتى حين أخذوها!

«وما الفائدة من سؤالي؟ أنا أعرف مصيري جيِّدًا بعد أن تأخذوا مني ما تريدون أيها الكلاب»

أجابت بجِدَّة ولا مبالاة وعيناها العسليتان الواسعتان تحملان الكثير من الحنق والغضب تجاهه.

«ماهو مصيرك؟»

سألها وقد اتَّكأ على الحائط، بعد أن أثارت اهتمامه تلك الفتاة القوية.

«الموت»

أجابت دون أن تخاف للحظة من تلك الكلمة التي خرجت من فيها.

«على عكس بقية الفتيات، أنت لم تذرفي الدموع أو تتوسلي لأبقي على حياتك أو حتى تسألي عن سبب أخذنا لك»

«لقد واجهتُ في دار الأيتام ما جعلني أتمنى الموت، وأفكر بالانتحار العديد من المرات... أتعتقد أن الحياة وردية في تلك الدار؟ لقد أرتني (نجلاء) أيامًا سُودًا تمنيتُ فيها مفارقة الحياة على أن أعيشها، فلن أذرف الدموع على اختطاف أعلم أني سأموت بعده لا محالة... سأموتُ دون أن أنحني وأخضع وأُذل من حفنة أثرياء شهوانيين»

بصقت على الأرض بعد جملتها تلك، و(مروان) يستمع في صمت تام بانبهار... (ريحانة) لم تكن كأي ضحية يختطفونها.

«لكن تذكر أنت وكل من سيشاركون في فعلتهم هذه لي أني لن أسامحكم عليها أمام اللّٰه يوم القيامة. أنا مطمئنة، لأني أعلم أن حقي لن يضيع عند ربٍّ عادلٍ سأكون خصيمتك أمامه يوم الدين... أنت وحفنة الكلاب اللاهثة أولئك بمن فيهم (نجلاء) الساقطة»

حركت رأسها خارج غرفة الشاليه المهجورة، لترى الطائفة مجتمعةً وقد جهزوا طقوس التضحية... ثم رددت:

أمـــا والله إن الـظـلـم شـــؤمٌ

ولا زال الـمـسـيء هــو الـظـلـومُ

إلى ديّـانِ يـوم الـديـن نـمـضـي

وعــنــد اللّٰه تـجـتـمع الخـصومُ

ســتـعـلـمُ في الـحـسـابِ إذا الـتـقـينا

غـدًا عـنـد الـمـلـيـكِ مـن الـغـشـومُ

استمرت بالترديد حتى أرغمت (مروان) على المغادرة لساحة الشاليه مع بقية الطائفة، دون أن يُعيد وضع الشريط اللاصق... وهو يفكر مليًّا بحديثها. وقف مع بقية الطائفة متبادلين أطراف الحديث بعباءاتهم السوداء، ومعهم (نعمان) بعباءته البرتقالية القبيحة... بدأ (عبدالغني) بسكب بعض الشامبانيا لـ(مروان) قبل أن يلمح (نعمان) شيئًا جعله يفزُّ من مكانه. شهَرَ مسدسه ونظر الجميع ليروا ظلَّ (ريحانة) التي استطاعت فك وثاقها، ليقول (نعمان) وهو يتحرَّك نحوها بهدوء ويُشير للبقية بالجلوس:

«لقد استغفلتك أيها الأحمق وفكَّت وثاقها، ما وجب علينا الوثوق بك في تقييدها»

كان ينظُرُ لـ(مروان) بحقد، واستمر بالمشي الهادئ نحو (ريحانة). وعلى غير سابق إنذار، أطلقت ساقيها نحو أحد الشاليهات الكثيرة في ذلك المنتجع، وأطلق (نعمان) النار دون أن يعلم أن تلك الطلقة ستورطه طيلة حياته... فالمسدس لم يحوِ كاتِمًا للصوت! تردَّدَ صوتُ الطلقة في الأرجاء وتبعه صراخُ (ريحانة) التي استطاعت الاستمرار بالجري، والاختباء داخل أحد الشاليهات المهجورة.

هرعَ (نعمان) سريعًا آنذاك لبقية الطائفة الفزعين، ليقول على عجل وأنفاسه تتقطع:

«علينا المغادرة سريعًا فقد كان هناك عائلة تتنزه على الشاطئ، وعلى الأرجح أنهم سمعوا صوت الطلقة والصراخ... اتركوا كل شيء خلفكم هيا!»

قالت (نجلاء) والخوف بادٍ في عينيها:

«ماذا عن الفتاة؟ ستخبر الشرطة بكل شيء!»

«لن تصمد طويلًا مع الطلقة التي أصابت كتفها، وسنتخلص منها حين إدخالها للمستشفى... لنتحرَّك!»

قال (نعمان) وهو يدفعها للخارج، ليغادر الجميع خلفه تاركين وراءهم طقوسهم الشيطانية المختلة... من رأس ماعز ونجمة خماسية... وضحية جريحة ستقلب حياتهم رأسًا على عقب.

اختبأت (ريحانة) في أحد الشاليهات المهجورة، داخل حوض لاستحمام والدم يسيل من كتفها وهي تحاول كتم صوتها حتى لا يعثروا عليها... إلا أن أنينًا صدر منها رغمًا عنها والطلقة لا تزال في كتفها... منتظرةً فرج الله دون أن يكون لديها خطة. قرَّرَت المكوث هناك وكلها ثقة بالله أنه سيرسل لها المساعدة، لأنها لم تَكُن ضعيفةً كالأخريات... ولم تكن تعلم أي مساعدة قد أرسلها الله لها حين وقعت عينُها على النقيب (أديم) المتسلل للشاليه. كادت تصرخُ ظنًّا منها أن ذاك القادم إليها من الطائفة، ثم اطمأن قلبها حين رأت وجهًا جديدًا عليها... وجهًا ترتاح العين عند رؤيته.

(باتايا)، (تايلند)

رمضان، ١٤٣٣ هـ

اشمئزاز

نظرتُ إلى (مروان) باشمئزاز وعدم تصديق لما سمعت أذني، توجد الكثير من التفاصيل التي كنتُ أجهلها... كتورُّط تلك اللعينة (نجلاء) معهم... والتي خدعتنا بطيبتها وحنانها المزيف! وذلك الكهلُ (بركات) والذي اعتقدت أنه بريء من هذا كله، كان هو الذي ابتدأ الأمر برمته. ياللعجب، عليَّ أن أخبر السلطات بكل هذا في اسرع وقت ممكن. عقدتُ ذراعيَّ قبل أن أسأله سؤالي الأخير:

«ماذا عن المقدم (مسعود)؟»

هزَّ رأسه نفيًا وهو يجيب:

«سبق وأخبرتك أن (نعمان) لم يَعُد يثق بي، وهو وحده وربما بعض أفراد الطائفة يعلمون بمكانه ومكان ضابطكم... أما أنا فمنذُ خرجنا من الشاليه ذلك اليوم وهو يعطيني التعليمات بالتخفي حتى طلب مني المكوث هنا في (تايلند) إلى أجل غير مسمًّى»

أطلتُ النظر في عينيه ببرود دون أن أتحدث، قبل أن أقف وأقول له بازدراء:

«هيا أيها البغيض، ستعود معي للمملكة رغم أنها لا تتشرف بأمثالك... وستتعاون معنا في كل ما نمليه عليك»

وقفتُ وسحبته معي للخارج وهو مُصفَّد اليدين، لتومئ لي - الملازم (كو فانج) برأسها وتعينني على ذلك الكهل القذر... على الرغم من عدم احتياجي للعون فَلَم يَكُن لائقًا طبيًّا. قالت بإنجليزيتها الركيكة:

«يبدو أنك حصلت على مرادك منه»

اكتفيتُ بالإيماء لكن الأمر لم ينتهِ بالنسبة لي، فلا يزال عليَّ العثور على صديقي المفقود... والعثور على (نعمان) وبقية أفراد الطائفة الملاعين. آهٍ يا (مسعود)،

كان من المفترض أن نعيش لحظة القبض والاستجواب هذه معًا... أين أنت يا (مسعود)؟

(مكـة الـمكرمـة)

رمضان، ١٤٣٣ هـ

رمضانٌ عصيب

«سعادة النقيب، هلَّا خففت عن نفسك؟»

أخرجني اللواء (فهد) من المعركة التي دارت بعقلي وأهلكته، مُربِّتًا على كتفي وهو يجلس بجواري في غرفة الاجتماعات. خفف ذلك من حِدَّة توتري، وتوقفتُ عن هزِّ قدمي التي اهتزَّ قلبي معها وهو ينبض بعنف... لكن المعركة لم تنتهِ ولن تنتهي حتى يعود، حتى يعود (مسعود).

«أعلم أن المقدم (مسعود) مفقودٌ حتى الآن، لكن انظر إلى ما وصلنا إليه وحققناه في فترة وجيزة... وكل هذا بفضل الله ثم فضل تحليلاتك الباهرة وتحقيقاتك أعطِ نفسك قليلًا من الراحة والامتنان»

أكمل مُحاوِلًا التخفيف من حِدَّة تفكيري، وكأنه يرى ما يجول في خاطري من أفكار. أعطيتُهُ ابتسامة مصطنعة قائلًا:

«لن يهدأ لي بال ولن يغمض لي جفن حتى أعثر عليه وعلى رأس الأفعى (نعمان)!»

هزَّ لواء الاستخبارات (فهد) رأسه وهو يقول:

«أن نعثر على كل أفراد الطائفة ونأخذ منهم الاعترافات والأقوال في هذا الوقت الوجيز، أمر ليس بالهين يا (أديم)... ومصيرُ (نعمان) الخروج من وكره الذي يختبئ فيه هو وتلك الفتاة (نجلاء). لا أعتقد أن مكروهًا أصاب المقدم (مسعود)، وإلا لقتله (نعمان) منذ البداية... هو يريد مقايضة (مسعود) بشيءٍ يريده منا، وسنعمم على السلطات الدولية و (الإنتربول) بالقبض عليه وسننشر صوره في كل مكان حتى يخرج الجرذ من جحره!»

حرَّكَ ما قاله اللواء شيئًا ما في ذهني، اعتدلتُ في جلستي وعقدتُ ذراعي متسائلًا:

«ألم تلحظ شيئًا غريبًا؟ كيف لا يثق (نعمان) بأي من الطائفة؟ لا (مروان) أو (عبدالغني) أو (عبدالرحمن) أو (أحمد)، جميعهم لم يُطلعهم على مخططاته ولا يعرفون لـ(مسعود) مكانًا! سوى (نجلاء) التي لم نعثر عليها حتى الآن، ولم يُسجّل عليها مغادرةٌ للبلاد في أي منفذٍ من المنافذ... على الرغم من أن (نعمان) قد سجلت مغادرته في النظام إلى (كولومبيا)»

أشركتُهُ التفكير معي في تلك الغرفة التي خلت من الحياة، وأصبحت تبعث شعورًا غير مريح في نفسي... وكيف لا أشعر هكذا وصديقي في خطر جسيم. اتَّكأ بذراعيه على الطاولة ساحبًا نفسًا عميقًا ثم أطلقه بهدوء، ليُضيف:

«ولا أفهم سبب عدم تخلصهم من (بركات) الذي قد يفضحهم في أي لحظة، بعد أن اتجهوا لتجارة البشر!»

«ألم ينطق بأي شيء مفيد في التحقيقات؟»

سالتُهُ باهتمام، عن ذلك الكهل القذر (بركات)... والذي حسبتُهُ مسكينًا لا ذنب له كل تلك الأيام.

هزَّ اللواء رأسه بالنفي قائلًا:

«فقط يُكرِّر تهويدة (ماما زمانها جاية)...»

قاطعه نداءٌ فأغمضَ عينيه وردَّد وهو يفتح علبة التمر:

«الله أكبر الله أكبر»

كان نداء الحق لصلاة المغرب، مُعلنًا وقت الإفطار في شهرنا الكريم... سكبَ لنا أحد العمالة القهوة وبدأنا بتناول الإفطار وفؤادي يدعو لـ(مسعود) أن يكون بخير. يدعو أن تنتهي هذه القضية على خير وفي أسرع وقت ممكن، هذه القضية التي سرقت مني لذة وحلاوة شهر رمضان... لأقضي بدايته في تلك

البلاد القذرة (تايلند) منتصفه باحثًا عن سيادة المقدم الذي أقلق فقدانه مضجعي. رمضانُ ذلك لم يكن كأي رمضان مضى، كان أصعبها وأكثرها قلقًا وتوترًا... رمضانٌ عصيبٌ للغاية.

مرَّت إحدى الذكريات على ذهني وأنا أتناول وجبة الإفطار مع اللواء، تلك الذكرى التي ألحَّ عليَّ (مسعود) فيها أن أتنحى عن القضية ويتولوا هم مهمة إكمالها... لكن قلبي اللعين أبى إلا مساعدة الفتاة (ريحانة) والتي قتلوها في نهاية المطاف.

طرأت على بالي فكرة وأنا ألوكُ التمرة، لأخرج نواتها وأرميها وأقول للواء مُقاطِعًا صفو إفطاره:

«أعتقد أن أفضل حل هو استدراج (نعمان)! ماذا لو جعلنا الأمر وكأن أحد أفراد الطائفة يريد الالتقاء به؟»

انتهى اللواء من مضغ لقمته وابتلعها، ليرتشف من فنجان قهوته العربية وقد غاص في التفكير بعمق. قال بعد لحظاتٍ من الصمت المهيب:

«فكرةٌ سديدة، لا سيما أن الإعلام لا يعلم شيئًا عن القضية بعد... وبالتالي فمن المفترض أن (نعمان) لا يعلم أي شيء عما جرى. لكن علينا أن نخطط لها جيِّدًا فـ(نعمان) حذرٌ جدًّا وحريص... واللعب مع أمثاله خطير جدًّا خصوصًا مع علاقاته الفاسدة التي سمعتُ عنها في (كولومبيا). علينا تسخيرُ الحلقة الأضعف (مروان) في الوصول له والتواصل معه، وعلينا تدريب ذلك الأحمق جيّدًا فالذكاء ليس نقطة قوة عنده أبدًا»

أشرتُ على اللواء قائلًا:

«لا أرشح (مروان) البتة، فهو أغباهم وهذا سيثير الشك في قلب (نعمان) بالموضوع وقد لا يقع بالفخ... ماذا عن (عبدالرحمن)؟

صمت اللواء وذهنه منشغلٌ بالتفكير، قبل أن يضع قهوته جانبًا ويقول:

«معك حق»

(باتايا)، (تايلند)

رمضان، ١٤٣٣ هـ

لعنةٌ تلاحقني

«لاتفكر في الهرب أبدًا أيها الوغد، أتسمع؟ الحي بأكمله محاطٌ بالقوات ومراقب... وبمجرد قولك للعبارة سنقتحم المكان من كل صوب»

خاطبتُ (عبدالرحمن) الذي كان يتصبَّب عرقًا من شدَّة التوتر، ضاربًا خده بهدوء ليركز في حديثي وتهديدي. وضعنا جهاز التنصت تحت قميصه وقد تم اختبار جودته، ليغادر المركبة التي مكثتُ فيها مع الملازم (فانج) والعديد من قوات الشرطة التايلندية... كنا على بعد شارعٍ واحدٍ من مكان اللقاء الذي حدَّده (نعمان) ليلتقي ب(عبدالرحمن) في (تايلند). كان اختياره لدولة اللقاء مريب جدًا فلا هو يقطنُ فيها ولا حتى (عبد الرحمن)، لكن ذلك قد يكون أبعدَ للشبهات بالنسبة له فلا يكشف مكان إقامته بسهولة.

(تايلند)، ها أنا ذا مجدَّدًا في هذا البلد السحيق... آهٍ كم أمقته وقد تحتمت عليَّ العودة من أجل القبض على رأس الأفعى... (نعمان) الذي فقد كل النصيب من اسمه. حلفتُ وأقسمتُ على نفسي أن لا أعود لهذه الدولة أبدًا، لحظة عودتي مع النتن (مروان) لبلادنا... لكن شاءت الأقدار أن أحنث وأخلف قسمي.

كان يراودني شعورٌ أشعل التوتر بداخلي، شعورٌ يصرخ أن النهاية قد اقتربت أخيرًا. مشى (عبدالرحمن) للمكان المتفق عليه، كان مستودعًا فارغًا مهجورًا، في أحد الأحياء المريبة في (باتايا)... والتي فاحت منها رائحة القمامة والمجاري. تقول (فانج) إن هذا الحي مليء بالمتعاطين والسكارى والمروجين وبائعات الهوى، وكأن هذه الأشياء ليست منتشرة في (تايلند) بأكملها.

سمعنا صوتَ فتحه لباب المستودع عبر جهاز التنصت، متبوعًا بجملته المتوترة:

«لقد دخلت»

مرَّت لحظاتٌ شعرتُ وكأنها دقائق، حُبِسَت فيها الأنفاس ترقُّبًا للاقتحام في أي وقت... وقد استقرت على صدورنا السترات السوداء المضادة للرصاص.

«(نعمان)، لقد وصلوا...»

لم ننتظر حتى يُكمِل جملته، فقد كانت إشارة اقتحامنا كلمة (نعمان)... نزلنا من المركبة شاهرين أسلحتنا ونحن نركض نحو المستودع. لم تَكُن مركبتنا فقط، بل كل المركبات التي أحاطت بالمستودع بدأت بتفريغ حمولتها... من قوات أمنية. أشارت لي (فانج) برأسها لندخُلَ أوَّلًا، فقلتُ صارخًا:

«الشرطة، توقف بمكانك ولا تتحرك!»

كان مستلقيًا على الأرض فوق النجمة الخماسية المرسومة بالدماء، في منتصف المستودع المهجور... إلا أن النجمة الخماسية قد تَلِف رسمها جرَّاء الدماء التي تفجَّرت من صدره. أنزلتُ سلاحي وركضت نحوه وعيني لا تصدق ما تراه... للمنظر الذي يرتعد قلبي حين تذكُّره حتى الآن. جثوتُ بجواره والدموع تتساقطُ من عيني، عيني التي رفضت وأبت قبول ما حصل... هي وقلبي وعقلي وكل أطرافي.

ذلك لم يَكُن (عبدالرحمن)، أو (نعمان)... فلن أذرف دمعةً على هؤلاء الأوغاد. ذلك المستلقي لم يَكُن سوى مدير شرطة الشعيبة المفقود، المقدم (مسعود)! سعلَ عِدَّة مرَّاتٍ مما أكَّدَ لي حياته، قبل أن يفتح عينيه بتثاقل ليراني... عينيه اللتين لم تفقدا حدتهما وكحلهما.

«اطلبوا الإسعاف!»

صرختُ بالإنجليزية وعيناي لا تغادرانه، ويدي على كتفه والدموع تتساقط لا إراديًّا. غرق ثوبه الأبيض بدماء معدته الحمراء القاتمة، التي غادرت جسده عبر الطعنات العديدة المتفرقة فيه. نبتت لحيته التي اعتاد حلاقتها باستمرار، وقد وُسِمَت النجمة الخماسية على جبينه الأبيض! حاول النهوض إلا أني أوقفته

حتى لا يفقد دماءً أكثر مما فقد، قائلًا بصوتٍ هادئ مُحاوِلًا طمأنته:

«هي هي، على رسلك على رسلك، ستصل المساعدة الطبية قريبًا... اصمد»

استمر بالسعال واستمرَّت الدماء بالسيلان، لألحظ ابتسامةً ارتسمت على وجه المقدم الجريح... ليقول بصوته الذي قاطعه السعال:

«عملٌ رائع أيها النقيب، لقد حللت لغز الطائفة اللعينة في وقتٍ قياسي وحدك... أنا فخورٌ بك»

كان الفخرُ بادِيًا في عينيه ودموعي تأبى إلا السقوط والانهمار، ليُكمل:

«لِمَ تبكي كالفتيات؟ بينما توجَّب عليكَ الفرح بما حقَّقت»

ضحك ثم تأوَّه من الألم، والسعال لا يغادره وشأنه. قلتُ له متبسمًا:

«سنفرح يا (مسعود) معًا بإنجازنا، فقط ابقَ معي أرجوك»

أمسك ذراعي بقوة وسحبني نحوه بيديه اللتين تلطختا بدمائه... ليقول:

«أخبر بنتيَّ وذكِّرهما دائمًا أن أباهما مات بطلًا يدافع عن وطنه، أوصيك بهما يا (أديم). أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»

وضعتُ يدي على فمه وأنا أقول غاضبًا:

«اخرس اخرس، لا تقُل هذا الكلام... ستخبر بنتيك بنفسك وتربهما وتعود لهما»

صرختُ بالإنجليزية:

«ما الذي يؤخِّر الإسعاف في هذا البلد اللعين بحق الله؟!»

قربني منه وهمسَ حتى لا يسمعه أحد غيري:

«أراك على الجانب الآخر يا رفيقي. قبو ورشة (أبو خطاب) يا (أديم) لقد...»

أغمضَ عينيه وسعلَ عِدَّة مرَّاتٍ، لكنه لم يَعُد لفتحِهما مجدّدًا. حركتُ كتفيه بقوة، وأنا أقول له ودموعي تتساقط على جسده:

«لا لا لا، أفق يا (مسعود)! أرجوك ابقَ معي، لم ألبث أن التقيتك مجدَّدًا! لا تجعلني أعود وحدي للمملكة!»

لا إجابة، لم أكن أعلم أن تلك هي المرة الأخيرة التي سأسمع فيها صوته... لم أكن أعلم أن تلك آخر عبارة سأسمعها منه. لم أقبل أن يذهب بعيدًا عني، لم أقبل قدَرَهُ أن يموت الآن! رحتُ أتوسل إليه ليستفيق ويفتح عينيه مجدّدًا، صفعتُ خده عِدَّة مرات علَّ روحه تعودُ لجسده بتلك الصفعات... حتى أني بدأت الإنعاش القلبي الرئوي له وأنا أعلم أن لا فائدة منه!

«(أديم)، (أديم)، (أديم) إنه ميت!»

سحبتني (فانج) وحاولت التملُّص منها لإعادة روح (مسعود)، إلا أنها استمرت بسحبي بعيدًا عنه. سمعت صوت صافرات الإسعاف بعد فوات الأوان، لآخُذَ نفسًا عميقًا وأُغمض عيني اللتين احترقتا دمعًا على شهيد الدين ثم الوطن... وأقول بحُرقة:

«لكن كان من المفترض أن نُنهي القضية معًا كما بدأناها معًا!»

أيقنتُ وقتها أن (مسعود) لن يعود، وأفلتتني (فانج) لأقف أمام جثته الصريعة... في منظر بشع يُدمي القلوب. أبى أن يُعطيهم ما أرادوا منه، أبى الانصياع تحت تعذيبهم القاسي... الذي كان ظاهرًا من النجمة الخماسية التي وسموها على جبينه الطاهر. ضربتُ التحية العسكرية على تلك الروح التي افتدت دينها ثم وطنها، تلك الروح الشجاعة التي سخرت نفسها لحماية

الوطن... منذ أخذت القسم العسكري.

وقعتْ عيني على مجموعة بطاقات لعب كانت في جيب ثوب المقدم الشهيد، مع عِدَّة رقاقات من تلك الخاصة بالقمار. أخرجتها من جيبه ونظفتها من دماء (مسعود)، رغم أن دماءه لم تكن ولن تكون نجسة أبدًا... فتلك دماء الشهيد.

كانت بطاقات اللعب خمسًا، أربع من ورق (الآص) بالفئات الأربع (ديمن) و(سبيت) و(هارت) و(شيريا)... وورقةُ (جوكر) واحدة. أتى صوت ضحك هستيري من الخلف، التفتُّ لأرى (عبدالرحمن) فرحًا أيما فرح... وهو ينظر لجثة (مسعود). حوَّلَ نظره لي قائلًا:

«لا أعلم إن كنتَ خبيرًا في المقامرة، لكن (نعمان) يرسل لك تحياته ويقول إنه انتصر في هذه الجولة بجدارة... بأربعة (آصات) و(جوكر)... حَظًّا موفَّقًا في الجولة القادمة»

لم أتحمَّل كلامه أكثر من ذلك، شددتُ قبضتي ولكمته بقوة... لأُسقطه أرضًا وأنهال عليه بالضرب وهو مستمر بالضحك. كدتُ أُفقده وعيه لولا أن (فانج) ومجموعة من الرجال سحبوني بعيدًا عنه، وأعادوا تصفيد يديه وسحبوه للخارج، بعد أن أثار حنقي وغضبي، يالغبائي الشديد... كيف استطعتُ تصديق أن (نعمان) بهذا الغباء وسيوافق على لقاء (عبدالرحمن) بهذه السهولة؟!

أصبح الموضوع شخصيًّا بالنسبة لي، لقد ربحت هذه الجولة يا (نعمان)... لكن اعلم جيّدًا أنها الجولة الأخيرة التي تنتصر فيها... وهي الجولة ما قبل الأخيرة في هذه المعركة اللعينة! لقد صنعت لنفسك الكثير من الأعداء، لكنك لا تعرفُ أني أشرسهم وأعنفهم.... سأجعلك تتمنى أن أفعل بك ما فعلته أنت بـ(مسعود).

(الـــشـــعـــيـــبـــة)

رمضان، ١٤٣٣ هـ

عزاء الشهيد

«أحسنَ الله عزاءكم»

«جزاك الله خيرًا»

«أحسن الله عزاءكم»

«جزاك الله خيرًا»

تتالى المعزّون بوفاة المقدم الشهيد في خيمة العزاء الكبيرة، التي صنعها له ذووه. كان ذلك العزاء مما خفف وطأة الحزن على قلبي، فقد شهد الكثير دفنه وجنازته وحتى أيام عزائه... وجميعهم يذكرونه بالخير ويدعون له. كم يرق قلبي لأقاربه وزوجته وبنتيه، هم يودعون آخر يوم في رمضان ويستقبلون العيد... بوفاة أقرب الناس لهم. أي فرحة تلك التي ستزورهم وقد فارق أقرب الناس لهم الحياة، آهٍ ما أقسى الظروف.

خرجتُ من الخيمة واتجهت لسيارتي، لم أكن أنوي العودة للفندق... بل الذهاب لمركز الشرطة لاستكمال ما توقفتُ عنده. بل أبدأ من جديد، عملية البحث عن اللعين (نعمان).

أخرجتُ النردين الأسودين وسيارتي ما زالت متوقفة أمام خيمة العزاء، بدأتُ التقليب بينهما وذهني عالق في التفكير... ويأبى تشغيل المحرك والذهاب لأي مكان. يريد الذهاب لمكان واحدٍ فقط، المكان الذي فيه (نعمان)! لا يزال ذهني يحلل ما قاله (مسعود) قبل أن تغادر روحه جسده... لأنه وببساطة هو الأمل الوحيد لي للعثور على الشبح (نعمان).

«قبو ورشة (أبو خطاب) حيرتني تلك العبارة حتى بحثتُ وفتشت ذلك القبو لتلك الورشة المهجورة عِدَّة مرات! ذلك القبو الغريب القديم الذي امتلأ بأدوات الميكانيكا الصدئة، المغطاة بالغبار والأتربة... لم يحوِ أي دليل! حتى

أني فتشته ثلاث مرات مع أفراد الطب الجنائي، ولم نخرج بنتيجة عن مكان (نعمان)... كل ما اكتشفناه أنه يحمل عازلًا قويًّا للصوت والحرارة.

أصبح (نعمان) يراودني في كوابيسي التي تداهمني في الساعات القلائل التي أحظى بنومٍ فيها، والخفقان يصيب قلبي كلما أرادت عيني الارتياح... ومن يلومه بعد فقدان (مسعود)؟ شغلتُ المحرك وانطلقت نحو القسم، ويدي اليمنى منشغلة باللعب بالنرد بينما انشغلت الأخرى بالمقود. كان أهل تلك المدينة الصغيرة قد خرجوا لشراء حاجيات العيد، بينما انشغلتُ أنا وأبيتُ العودة لـ(الطائف) للاحتفال بعيد الفطر مع (أبرار) وابنتها وزوجها... مما أغضبَها كثيرًا. كان هذا أول عيد تعيس يمرُّ عليَّ. فقدان زوجتي أوَّلًا وانفصالي عنها، ثم فقدان المقدم الشهيد... أتساءل كيف كانت ستخفف عني طليقتي الهم الذي أثقل كاهلي.

وصلتُ للقسم وترجَّلت من سيارتي، لتستقبلني قطة سوداء عند سلالم القسم... مُحدِّقةً في عيني بشكل مريبٍ مُفزع. تجاهلتها وصعدت السلالم لكنها استمرت بملاحقتي، ومسح جسدها على ثوبي وقدمي... إلى أن أبعدتها بقدمي بلطف. لكن ذلك لم يوقفها عن ملاحقتي، ما بال تلك القطة الغبية؟ لقد ذكرتني بتلك القطة التي وجدناها في قبو الورشة، والتي تسللت إلى هناك عن طريق النافذة العلوية المفتوحة... كانت تتجول في كل مرة أذهب فيها للورشة... فتارةً أجدها في القبو وتارةً أمام الورشة. وما أن ترانا حتى تلتصق بنا وتزعجنا، كهذه الغبية التي تضايقني الآن... الفرقُ أن تلك بيضاء وهذه سوداء.

دخلت للقسم ولحقتني، لكن أحد رجال الأمن طردها وشرّدها. نظرتُ لمكتب (مسعود) وأخذتُ نفسًا عميقًا، لأتشجع أخيرًا للدخول لأول مرة منذ اختفى. فتحتُ الباب ودخلتُ لذلك المكتب، لأرى طيفه في كل زاوية منه... بشتى المواقف المختلفة التي رأيته فيها بذلك المكتب. هنا ضحك ذات مرة، وهناك غضب ذات مرة.... وغاص في صمته العديد من المرات هنا وهناك.

سمعتُ صوت خربشة على النافذة، حوّلت نظري لها لأرى طيف قطة سوداء خلفها... نبض قلبي بعنف... أهذه قطة أو جني متشكل؟! كيف علمت أني في هذه الغرفة، عن طريق الرائحة؟!

يا الله، يبدو أن قلة النوم أهلكتني، ضربتُ النافذة بعنف لتقفز القطة للأرض وتبتعد. لا أفهم سبب إصرارها على ملاحقتي، لكنها حرَّكت شيئًا ما في داخلي... جعلتني أسمع صوتي الداخلي الذي طلب مني أن أزور الورشة مرة أخرى. انصعتُ لحديث نفسي ووجدتني أحثُ الخُطا نحو سيارتي، لأركبها وأتحرك مباشرةً نحو الورشة... تلك التي قد خلت من روادها وعمالها منذ دهر طويل. دقائق ووصلت للورشة، حتى مع خروج أهالي المنطقة لتسوق العيد... لا تزال فارغةً يسهل التنقل من شمالها لجنوبها. أوقفتُ سيارتي واتَّجهت نحو مدخل الورشة وما أن وصلت حتى رأيتها، تلك القطة البيضاء السمينة التي لا تحرك ساكنًا... مستقرة بجوار المدخل. بمجرد أن وقعت عينها علي لم تحركها البتة، استمرّت بالتحديق بي بشكل مخيف. اقتربتُ نحوها بهدوء ولم تتحرك، وقفت أمامها وحملتها بين يدي... لأشعر بالغباء الشديد من قدومي للورشة... ما الذي قد تعطيه لي قطة مشردة؟!

رفعتها عاليًا وقلبتها يَمنةً ويسرةً وكأنها لعبة، حتى وقعت عيني على شيء مثير للاهتمام في بطنها... جروحٌ وخدوشٌ غريبة. حملتها معي للسيارة وفتحتُ الإضاءة العلوية... وقلبت القطة على ظهرها لأحاول رؤية تلك الخدوش... كانت تشكل كلمات عربية!

قلبت القطة بوضع أفقي وكأنها جهازٌ إلكتروني، لأستطيع قراءة تلك الكلمات التي خُدِشت بها تلك المسكينة... من قام بخدشها لتشكيل هذه الكلمات؟ أهو (مسعود)؟

حاولت التدقيق بتلك الخدوش التي لم تظهر الحروف جيِّدًا، حتى استطعت تكوين الكلمتين اللتين كُتِبتا:

«(جبل حسان)»

ما هذا؟ (جبل حسان)، لقد سمعتُ عن هذا المكان من قبل! هي جزيرة تقع على (البحر الأحمر)، قريبًا من شمال المملكة... لكن ما الذي يقصده حين كتبها؟!

وضعتُ القطة في مقعد الراكب وانطلقت كالرصاصة للقسم، لأنحقق من صحة معلوماتي من الإنترنت. ألم يستطع (مسعود) قول تلك الكلمات لي، أم أنه خاف أن يسمع (عبدالرحمن) ويبلغ (نعمان) بطريقة ما؟

هو أصلا لم يعلم إن كان سيلتقيني مجددًا أو لا، فقرَّرَ خدش تلك القطة حتى أجدها بطريقة ما حين تفتيش القبو؟ إن كان ما أظنه صحيحًا فالمقدم الشهيد عبقري، من كان سيفكر في ترك دليل كهذا؟!

لو أن تلك القطة السوداء لم تلاحقني لما عدت لفحص هذه القطة، أكانت القطتان على معرفة ببعضهما البعض؟ لا وقت لهذا الهراء، توقفتُ بسيارتي أمام درج القسم وركضتُ تاركًا القطة البيضاء... لأدخل لأقرب مكتب ويتنحى العسكري الذي جلس خلفه

«(جبل حسان)»

كتبتها في محرك البحث لأرى العديد من النتائج التي لا صلة لها بما أبحث عنه، (قبر حسان بن ثابت)، (جبل طارق)، (جبل النور)... حتى وصلت لما أعتقد أنه المقصود... بالطبع! (جزيرة جبل حسان)، تقع على (البحر الأحمر) بشمال المملكة!

اتصلت باللواء (فهد) لأدلي له بالتفاصيل الجديدة، وأطلب مداهمة تلك الجزيرة في أسرع وقتٍ حتى لا يُفلت اللعين (نعمان) من يدنا.

(الـــشـــعـــيـــبـــة)

شعبان، ١٤٣٣ هـ

صمود

«كل ما تفعله الآن مثيرٌ للشفقة بحق! لقد ورطت نفسك باختطافي لم تعد تعرف ما تفعله أيها الأحمق»

قال المقدم (مسعود) وهو يضحك، رافعًا نظره لصاحب العباءة البرتقالية... ويداه مُكبَّلتان بحبلٍ وثيق.

وجَّهَ له صاحب العباءة لكمة قوية على وجهه، سالت على إثرها الدماء من فمه. ما زادته تلك اللكمة إلا ضحكًا، فأكمل بعد أن بصق الدماء التي امتلأ بها فمه:

«ألم أخبرك أنك تورطت معي؟ أنا لا أعلم بالضبط سبب خطفك لي، هل اعتقدت أن ذلك سيخيف النقيب (أديم)؟ دعني أخبرك شيئًا قد لا تعرفه عنه، ذلك الرجل لا يقبل الاستسلام... وكل ما فعلته سيزيده رغبةً في القبض عليك ليس أكثر!»

لم ينطق (نعمان) بحرف، ولم يوجه له ضربةً أخرى كما اعتقد (مسعود)... وقف مكانه بعباءته صامتًا حتى تقدَّمَ نحوه أحد أعوانه وهو يمدُّ له عصا استقرّت على رأسها نجمة خماسية. كانت تشع تلك النجمة حتى تحول لون حديدها للبرتقالي، مما أظهر أنها قد تسخنت بالنار. لم يُعطِ للمقدم فرصة للاستيعاب فقد ثبتها على جبينه وضغطها بقوة، ليعضّ على فكيه بقوة مُحاوِلًا كتم صراخه... لينطق (نعمان) أخيرًا وهو يستمر بِكيٍّ جبين (مسعود):

«قد يكون ما تقوله عن صديقك صحيحًا، لكن وإن لم نجعله يستسلم فعلى الأقل سنجعله يتمنى لو فعل... لا سيما حين يرى صديقه (مسعود) يلفظ

أنفاسه الأخيرة أمامه عما قريب! وستكون تلك ضربتي الأخيرة الموجعة لذلك النقيب المتحاذق. (نعمان) وإن خسر يبقى منتصرًا!»

أبعدَ العصا عن جبينه أخيرًا وهو لا يزال يعض على فكيه ويصرخ بصوتٍ مكتوم، والدماء تنزل من على جبينه وقد وُسِمَت النجمة الخماسية... ليعيد (نعمان) تكميم فمه ويتجه نحو الدرج المؤدي لخارج القبو. التقط (مسعود) أنفاسه والدماء تسيل من جبينه، وقد توقف عن الصراخ المكتوم أخيرًا... ليُعيد رأسه للخلف ويسنده على الجدار ويُغْمِضَ عينيه. كانت يداه مقيدتين لبعضهما البعض بالحبال، و قدماه امتدتا في زاوية القبو... تلك الحبال التي حاول التملص منها مرات عديدة دون طائل. بعد مضي عِدَّة دقائق وبعد أن كان على وشك الغوص في نوم عميق، إذ أحس بحركة قريبة منه. فتح عينيه والتفت لمصدر الصوت ليراها، الوحيدة التي رافقته في لياليه البائسة بذلك القبو... تلك القطة البيضاء. كانت تقف بالنافذة العلوية للقبو، ناظرةً لرفيقها الذي يتعذب كل يوم لسبب لا تعرفه. طرق بإصبعه على الأرض عدة مرات لتقفز من النافذة لداخل القبو... وتتحرك سريعًا لتستقر على حجره. بدأ بمداعبتها قدر استطاعته، وكانت هي تقرب جسدها من يديه... ليكمل برفق غرز أظافره في بطنها حتى يكوِّن الكلمتين اللتين أراد لرفيقه أن يعثر عليهما.

(جـزيرة جبل حـسـان)

شوال، ١٤٣٣ هـ

الحصان في مربع (F6)

شقَّت السفينة الحربية طريقها وسط (البحر الأحمر) مع بزوغ فجر اليوم، فجر عيد الفطر! ذلك الفجر الذي يقضيه المسلمون في التجهز والتزين لتناول وجبة الإفطار مع اهليهم وأحبائهم، بعد انتهاء شهرٍ قاموا وصاموا فيه تعبُّدًا لله تعالى. لكن رجال المباحث والقوات الأمنية تلك انشغلت بمهمة أخرى، مهمة العثور على الرجل الذي عاثَ في الأرض فسادًا... وأبقاني ساهرًا ليالي طوالًا أبحثُ عنه كالبحث عن إبرة في كومة قش... في عالمنا الكبير. الذي جعلني أقضي شهر رمضان الكريم في تلك البلاد القذرة، بين بائعات الهوى والخمَّارات

وقفت على ناصية السفينة البحرية، مرتديًا السترة الواقية من الرصاص... وقد أحاط بي الكثير من القوات البحرية وضباط البحث الجنائي. كان اللواء (فهد) قد وضعني في القيادة، وقررنا اقتحام جزيرة (جبل حسان).... تلك التي كانت مغلقةً وممنوعةً على السائحين منذ فترة طويلة. لم تَكُن سفينتنا وحدها، بل جاورتها سفينتان حربيتان ضخمتان... مصحوبة بمروحيات الطوارئ تحسُّبًا لما قد يحدثه ذلك الوغد من صراع مع رجال الشرطة. هذه كانت القوات الجنوبية فقط، ومثلها في الشمال والشرق والغرب... لنضيق الحصار وننهي أمر الطائفة بأسطول حربي مُدمِّر.

كان صوتُ المروحية يصمُّ الآذان مع شروق الشمس، وارتطام السفن بالأمواج كان مهيبًا... بحجمها الضخم والعتاد العسكري المهيأة به.

خالجني القلق وانتابني التوتر، ماذا لو لم يكن (نعمان) هناك... ونكون قد أهدرنا الكثير من الموارد العسكرية دون فائدة؟ كل ذلك كان مخدوشًا على بطن قطة، ماذا لو كنتُ أتوهم كل ذلك؟! حسنًا حسنًا، لن أدع تلك الأفكار السوداوية تسيطر على عقلي...

لم ألبث وأتاني الجواب مباشرةً، عِدَّة طلقات نارية صوب سفينتنا الحربية... انطلقت من برج مراقبة على تلك الجزيرة المهجورة! تراجعتُ للخلف مع مجموعة رجال الأمن لأحتمي خلف جدار السفينة الفولاذي، وأسمع الطلقات النارية التي اشتعلت من كل سفينة نحو برج المراقبة... وكم كان صوتها مدوّيًا علّ سواحل (البحر الأحمر) جميعها قد استمعت إليه.

خالجتني فرحة رغم كل ذلك، أيقنتُ وقتها أننا نتجه نحو المكان الصحيح... وأن رجل الأعمال (نعمان) يختبئ فعلًا في تلك الجزيرة كالفأر. توقَّفَ إطلاق النار، بعد أن أنهت السفن الحربية أمر أولئك الذين ابتدؤوا إطلاق النار من برج المراقبة... وبدأت السفن بالاقتراب من شواطئ الجزيرة. رفعتُ رأسي للأعلى لأرى بعض المروحيات تسبقُنا للاستطلاع والكشف، وكان ذلك وقتي لإعطاء الإشارة للسفن الشمالية والغربية والشرقية بالرسو على الشاطئ.

رست سفننا وبدأنا عملية المسح الشامل الدقيق بحثًا عنه، وقد أعطيتهم الأوامر بعدم ترك أي شيء حتى أصغر الجحور على متن تلك الجزيرة. لن أغادرها دون (نعمان)! كان التقدم العسكري دقيقًا ومتقنًا، فالله وحده يعلم ما قد يكون وضع لنا من مكائد. أشار أحد القادة رافعًا يده ليمنع تقدم البقية، قبل أن يرسلوا كاشفات الألغام التي ما أن مشت قليلًا حتى تفجرت لأشلاء! استمروا بمسح الألغام ليؤمنوا لنا الطريق، قبل أن تأتيني تلك العبارة عبر اللاسلكي:

«سيدي، أعتقد أننا وجدنا الهدف بالساحل الغربي لكنه متحصِّنٌ داخل قصره... ويبادلنا إطلاق النار بعنف»

أجبتُ عبر اللاسلكي:

«عُلِم، قادم إليكم»
أَوْمَأتُ لأحد القادة ليُشير للمروحية بالنزول، لأصعد على متنها وتأخذني سريعًا للساحل الغربي. كان منظر الجزيرة ساحرًا من الأعلى ومساعدًا على الاسترخاء

لولا الجنود والمروحيات والأسلحة التى نفضتها وقلبتها رأسًا على عقب. أشار لي الجندي المساعد للكابتن لبناية تراءت بعيدًا، وهو يومئ لي دون أن ينطق بحرف... كما كان الحال مع كل الجنود في هذه المهمة... لا يطيلون الأحاديث الفارغة ويأتون بالمهم فقط. هنا يختبئ الفأر إذًا؟ ليس بالقصر الفاره الذي تخيلت أن يمتلكه تاجر بشر!

كان القصر مُحاطًا بالسواد من كل صوب، والمروحيات تحوم فوقه لتُنزِلَ الجنود بالحبال... أولئك الجنود الذين استعدوا أيما استعداد لذلك الاقتحام. اتشحوا بالسواد وتغطت وجوههم بأقنعتهم الواقية، وتسلحوا بمختلف أنواع الأسلحة. تمامًا كتضييق الحصار على الملك في لعبة الشطرنج، الملك الذي بقي وحيدًا وقد تداعت منظمته وطائفته الشيطانية... وكل قطع الغريم تتحرك نحوه... حسنًا هو ليس وحيدًا فما زالت معه الملكة (نجلاء).

توقفت المروحية أمام بوابة القصر، لأنزل منها وتُقلع بعد ذلك لتكمل حصار القصر مع المروحيات الأخريات... ويستقبلني قائدٌ آخر قد تغطى وجهه أيضًا كالبقية. قال وهو يشير لباب القصر الذي حطَّموه:

«سيادة النقيب، الدخول للقصر آمن الآن... و(نعمان) مختبئ في إحدى الغرف مهدِّدًا بقتل كل من معه ويريد التحدث إليك فقط»

قلتُ مُطلِقًا تنهيدةً عميقة، ناظرًا للجثث الهامدة التي انتشرت حول القصر... وكان معظمهم من رجال (نعمان):

«خذوني له، أعرفُ كيف أتصرف معه»

أوْمَأَ القائد ومشينا للداخل، لفناء القصر الفسيح. الأدخنة الكثيفة تصاعد جراء القنابل والغاز المسيل للدموع... وأصوات الطلقات تعم الأرجاء. مشى حولنا مجموعة من القوات كحماية إضافية، مما عطَّل حركتنا قليلًا وجعل التنقل أصعب وأثقل.

نحن داخل القصر أخيرًا، ولا يزال عدد القتلى من رجال ذلك الوغد يتزايد... كل تلك الحماية لم تصمد في وجه القوات البحرية والجوية الشرسة. أخرجت القوات بعض الفتيات اللاتي كان يحتجزهن اللعين لسببٍ ما، ربما كُن بضاعته التي كان سيبيعها لأحد التجار بالخارج! كُنّ في حالةٍ يُرثى لها، بشعورهن المجعدة والتي لم تُغسل منذ مدة... ووجوههن التي انتشر عليها السواد والتشققات. رائحتهن أظهرت حاجتهن الشديدة للاستحمام، والهالات السوداء تحت أعينهن أبدت حاجتهن للنوم العميق.

وقعت عيني على الغرفة التي شددوا الحصار عليها، وقد استعدوا لاقتحامها في أي وقت لكنهم في انتظار تعليماتي. اقتربتُ منها ونطقتُ أخيرًا، مع غريمي الذي حلمت بلقائه عِدَّة مرات... وداهمني في كوابيسي في أشد الليالي العصيبة... (صاحب العباءة البرتقالية).

«(نعمان)، معك النقيب (أديم أحمد)... القصر والجزيرة مُحاصران من كل اتجاه... سلّم نفسك وأطلق من معك إني لك من الناصحين»

ضحك من خلفِ الباب بجنون ليقول:

«أهلًا وسهلًا بالمحقق (أديم)، لقد أطلت الغياب يا رجل... كلي شوق للُقياك! كل عام وأنت بخير»

ما زلتُ في حالة إنكار أن هذا أول أيام العيد، أغمضتُ عيني واتَّكأتُ على الباب لأرد عليه:

«وسيفُ القصاص مشتاقٌ لك أكثر ، أنتَ تدرك أن هذا آخر عيد لك يا (نعمان)... أليس كذلك؟ توجب عليك قضاؤه في مكانٍ أحسن من هذا وفي وضع أفضل، لكنها ظروف الحياة القاسية... ماذا نفعل؟»

لم يضحك تلك المرة، بل سمعتُ طلقة نارية في الداخل، وصياح عِدَّة فتيات... آن الأوان للاقتحام ولرؤيته أخيرًا. حطموا الباب وأطلقوا النار على

يديه الاثنتين، لأركض نحوه دون أن أسمح لأحد أن يضع الأصفاد في يديه غيري. انشغل البقية بإسعاف إحدى الفتيات التي أطلق عليها النار، وإخراج البقية، والقبض على تلك المرأة القذرة التي كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها وجهها دون نقاب... (نجلاء).

رغم أنه قد فقد القدرة على استخدام يديه، إلا أن الأصفاد ضرورية... لن يُفلِتَ مني أبدًا! كان ينظر لي بحقد وحنق بعينيه البنيتين الواسعتين الدامعتين، بعد أن تأثرتا بالغاز المسيل للدموع. شعره الناعم المختلط بالشيب كان فوضويًّا، وقد فقد كل رونقه ورزانته التي رأيته فيها بالمرة الأولى عند (بركات)... مرتديًا روبًا أبيض فرائيًّا. لم يكن ليُفيد ذلك العجوز لياقته البدنية، أو ماله الوفير... كل ذلك أصبح بلا قيمة الآن. قلتُ وأنا أضع الأصفاد على يديه الجريحتين وهو يتألم:

«لستُ خبيرًا في المقامرة يا (نعمان) لكني ألعب الشطرنج، الحصان في مربع (F6)، الملكة في مربع (H6)... كش ملك! لقد انتهت هذه الجولة بانتصاري في اللعبة كلها»

أحكمتُ تصفيد يديه، ونظرتُ في وجهه العابس... والذي تحول لابتسامة خبيثة. بصق على الأرض قائلًا:

«فزت باللعبة بعد أن جعلتك تخسر الكثير من القطع، ولم يَعُد معك سوى (ملكة) و(حصان)! خسرتَ صديقك (مسعود) ولن يعود، وحتى الفتاة (ريحانة) لم تستطع إنقاذها مني... (نعمان) وإن خسر تبقى خسارته مكلّفة موجعة غير سهلة»

أطلق ضحكةً هستيرية بعد عبارته تلك أثارت استفزازي، لأدفعه لخارج الغرفة... أدفعه لسيف القصاص أخيرًا.

(بـــانـكوك)، (تـايـلنـد)

شوال، ١٤٣٣ هـ

ها نحن مجدَّدًا

سبق وقلتُ إن هذه البلدة لعنة تلاحقني، ها أنا ذا للمرة الثالثة بها... وكأني أسافر بين مدن قريبة من بعضها البعض... رغم أن رحلة تستغرق ٨ ساعات إلى (بانكوك). عودتي كانت بمحض اختياري وطلبي، كنتُ أحاول تكفير فقدان (مسعود) و(ريحانة)... بتلك الرحلة الطويلة المرهقة. حتى أن اللواء (فهد) ألحَّ عليَّ بعدم الذهاب، وأن إحضار الفتيات سهلٌ يستطيع الشرطة هنا فعله وحدهم. كنا قد علمنا من خلال تحقيقاتنا المطولة بمكان الفتيات الباقيات اللاتي اتجر بهن وباعهن... ليتضح أن معظمهن في (تايلند).

لا يوجد شيءٌ محرّمٌ بيعُهُ في هذه البلاد، كل ما تريد شراءه موجود خمرة، مخدرات، حشيش، أعضاء، بشر! تداخل دخان سيجارتها في مناخري، كانت تسحب نفسًا تلو الآخر وسجائرها تستقر بين أصابعها... التي تلونت أظافرها باللون البنفسجي. تغطى جسدها بقميص أبيض وبنطال جينز قصير، مُظهرٍ للفخذين. ربطتِ الملازم (فانج) شعرها الأسود الطويل على هيئة ذيل الحصان، وقد بالغت في مساحيق التجميل أيما مبالغة... حتى كاد دخان سجائرها يتفاعل مع تلك المساحيق الكيميائية التي انتشرت على بشرتها.

«عملٌ رائع في القضية، أنا فخورٌ بك وبدهائك... متى سيتم تنفيذ عقوبة الإعدام في حق ذلك الرجل؟ آهٍ كم فرحتُ بالقبض عليه»

قالت بإنجليزيتها السيئة، لتمد يدها لمصافحتي بحرارة... بينما كنا في طريقنا في إحدى سيارات الشرطة.

تلك المحققة التي أصبحتُ أراها أكثر من أختي (أبرار) وعائلتي، وكل مرة أودعها فيها... تعيدني الظروف للقائها... كما تعيدني لهذا البلد.

«ليس بعد، لم يصدر حكم المحكمة النهائي ولا تزال الجلسات قائمة»

أجبتُها مُلصِقًا رأسي بنافذة السيارة، بينما استمرت هي بالتدخين في صمت.

«وصلنا»

توقَّفت سيارة الشرطة أمام إحدى الحانات، وترجَّلنا سريعًا للاقتحام الفوري. صرخَ رُوّاد الحانة السكارى وانبطحَ العديد منهم أرضًا، مع العاملات والفتيات في تلك الحانة. تجاوزناهم للدخول للمطبخ، هناك حيث قيل لي إني سأعثر عليها أخيرًا... وأُعيدها لكنف والدها ووطنها الذي أجبرت على مغادرته!

اقتحمنا المطبخ لأتعرف على مجموعة من الفتيات اللاتي بطحن أرضًا، وبدا على ملامحهن الخوف الشديد... دون فهم منهن لما يحصل. كنتُ قد تعرفتُ عليهن رغم تقدم أعمارهن وتغيُّر ملامحهن عن الصور التي رأيناها، بعد أن قضين عِدَّة سنوات في الخفاء... بلباس الطهي الخاص بهن والمآزر.

«هييي هي، أنتن بخير الآن... أنتن بخير! لن يؤذيكن أحدٌ بعد الآن وسنعود لـ(السعودية)»

أوقفتهن وطمأنتهن أنهن بخير... وكم كانت ردة فعلهن محزنة عند فرحهن لسماع أحدٍ يتكلم العربية أخيرًا. وكم كانت تلك الكلمة مريحة لآذانهن لتذكرهن أن الحياة لا تزال بخير... (السعودية). ذلك الوطن الذي غادرنه دون وداع، دون فهم منهن لما يحصل وقتها.

حسنًا، كلهن موجودات سوى واحدة... أرجوكِ كوني هنا! سألت إحداهن وهي غارقة في دموعها:

«أين (أمنية بنت بركات)؟»

أشارت الفتاة بيدها المرتجفة لإحدى عربات تقديم الأكل، لأرى طيفَ مخلوقٍ يرتعش جسده بالكامل.

اتَّجهتُ نحو تلك العربة لأسمع همسات غريبة، بتهويدة اعتدتُ سماعها الأيام المنصرمة:

«مااااما زمنها جاية، جاية بعد شوية... جايبة لعب وحاجات. جايبة معاها شنطة، فيييها وزة وبطة... بتقول واك واك واك»

وقفتُ خلف العربة لأراها، جالسةً القرفصاء وفي يدها ممسحةُ الأرض... بزي الطهي كبقية الفتيات. باعهن اللعين لصاحب الحانة اللعين الآخر، ليعملن عنده دون أجر... حتى يتوفاهن الله. انهمرت دموعها بينما ظلّ جسدها يرتجف، لترفع عينيها الناعستين السوداوين نحوي بخوف... وهي لا تزال تغني:

«مااااما زمنها جاية، جاية بعد شوية... جايبة لعب وحاجات. جايبة معاها شنطة، فيييها وزة وبطة... بتقول واك واك واك»

«لا تقلقي يا ابنتي، نحن هنا لإنقاذك... وسنعود لـ(السعودية) و...»

كدتُ أقول تعودين لأهلك لكن الحقيقة المؤلمة أنها لا تملك سوى والدها، والذي لا نعلم مصيره في حكم المحكمة بعد. لم تترك لي فرصةً لأقول لها أي شيء، فقد رمت الممسحة واحتضنتني بقوة وتشبَّثت مجهشةً بالبكاء.... وكأنها تخافُ أن أبتعد عنها أو أهرب. مضى زمن طويل منذ أن سمعت أحدًا يتحدثُ بالعربية، ناهيك عن أحد قادم لإخراجها من حياة الجحيم تلك التي عاشتها! استمرّت في احتضاني ولم أكن لأبعدها وأنا أعلم ما مرّت به من أهوال، والدموع لا تتوقف عن التساقط وهي تبكي وتغني التهويدة مرارًا وتكرارًا:

«مااااما زمنها جاية، جاية بعد شوية... جايبة لعب وحاجات. جايبة معاها شنطة، فيييها وزة وبطة... بتقول واك واك واك»

الآن علمتُ لم كان يغنيها (بركات)! كانت تلك التهويدة تجمعه بابنته لسببٍ ما عندما يشعر بالوحدة، ويبدو أن الأمر ذاته يحصل مع (أمنية)... لعله كان

يغني لها تلك الأغنية في الطفولة. أفلتتني بعد لحظاتِ عناقٍ طويلة كانت تحتاجها، قبل أن تنظر فيَّ من الأعلى لأسفل... وكأنها تتثبت من أن وجودي حقيقة لا من وحي خيالها. مشيتُ معها للخارج وقد تساقط دمعي رغمًا عني، مسحته سريعًا وأدخلنا الفتيات لسيارات الشرطة التي أحاطت بالمكان... لأرى (فانج) بالخارج مُعطيةً ظهرها لي ودخان سيجارتها يتصاعد. رمتها على الأرض وأطفأتها بقدمها، والتفتت لي لألحظ محاولتها الفاشلة في إخفاء دموعها. كانت تلك المهمة قاسية على الجميع، ومن لم تتحرك مشاعره حين رؤية أولئك الفتيات فلا قلب له... ما أبشع ما فعلوه بهن... مجرد التفكير بالأمر يُدمي القلب. ركبت آخرهن السيارة والتي لم تكن سوى ابنة (بركات)، تلك المسكينة التي كانت قد بلغت الثلاثين من عمرها... لتكمل عشر سنواتٍ في الغُربة والاستعباد... ما أقبح ما قد يفعله البشر من أجل المال!

اتَّجهت السيارات نحو (مطار بانكوك) مباشرةً، لتعيد أولئك الفتيات لأحضان أهليهن الدفيئة التي افتقدنها بالغربة، وأنا أتيقن تمام اليقين أن هذه هي المرة الأخيرة التي أزور فيها هذا البلد المشؤوم القذر... إلهي لا تجعلني أعود لها أبدًا.

(مـــكةالـمـكـرمـة)

ذو القعدة، ١٤٣٣ هـ

ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى) وقال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). حسب ما وصل لنا من الأدلة الجنائية والشرعية وحسب الاعترافات المدلى بها والشهود... حكمنا بما هو آت:

- تنفيذ حكم القصاص حدًّا والقتل تعزيرًا لكل من:

المدعو (نعمان بن...)، والمدعو (مروان بن...) والمدعو (عبدالغني بن...) والمدعو (عبدالرحمن ابن...) والمدعو (أحمد بن...) والمدعو (بركات بن ...) والمدعوة (نجلاء بنت...) وذلك لما ثبت ضدهم من تهم قتلٍ، واغتصابٍ، واتجار بالبشر، وانخراط في محاولاتٍ لتمجيد الشيطان»

انتهى القاضي من سرد الحكم النهائي، وأنا أتمعن وجوه الطائفة الذليلة الصاغرة... التي امتلأت حقدًا وحنقًا ويأسًا. أطلقَ العجوز (نعمان) نظراته القاتلة البائسة عليَّ، لأرد تلك النظرات بابتسامة منتصرة... زادتْ من حنقه ليموت موتتين. أولاهما قهرًا وحسرةً وثانيهما بفعل السيف الذي سينزل على رقبته قريبًا.

كانت تلك من أكثر الجلسات القضائية حضورًا، فقد اجتمع أغلب الفتيات ممن وافقن على الإدلاء بشهاداتهن ضد تلك الطائفة... مع أهليهن الذين فرحوا أشد الفرح وتهللت وجوههم عند سماع الحكم. لكن فتاةً واحدةً لم تعرف موقفها تجاه ذلك الحكم، لم تعرف مشاعرها التي خاضت حربًا ضروسًا داخلها... أتفرحُ بتحقيق عدالتها التي لطالما تمنَّت قليلًا منها... أم تحزن لأن والدها الذي هو عائلتها الوحيدة سيقابل الإعدام.

كانت (أمنية) المسكينة تنظُرُ لأبيها ببرود، وهو يبادلها النظرات ودموعه تتساقط على خديه. دار بينهما حوارٌ صامتٌ وهي تعاتبه بنظراتها الباردة القاتلة، تسأله عن سبب خوضه تلك التجارب البشعة... فقط ليتسلى ويقضي وقتًا ممتعًا. هو يعتذر لها بدموعه ويحاول شرح موقفه لكنه لا يستطيع، فليس لديه مبرِّر لما بدر منه من جرائم. قامت من مكانها وغادرت غرفة المحكمة على عجل، وقد لحظتُ دمعةً حارقةً تسقط على وجنتها... لم تَعُد تستطيع النظر في والدها بعد كل ما فعل.

كان (بركات) قد عاد لعقله بمجرد رؤيته لابنته، وكأن قصة نبي الله (يعقوب) مع ابنه (يوسف) - عليهما السلام- تُعاد مرةً أخرى... حين عاد له بصره بعد عودة ابنه.

وجهه تلك الجلسة كان ينقُصها شخص واحد، شخص حين نطق القاضي بالحكم التفتُّ للكرسي الذي بجانبي لأحييه على جهوده... لكني لم أجده. ذلك الشخص الذي أتألم كثيرًا عند تذكره، بملامح وجهه الحادة وعينيه الكحيلتين... وشاربه الكث الذي كان يتلاعب به دائمًا. ذلك الشخص الذي لولاه لما حللت اللغز بعد الله، كان يرشدني حتى بعد موته... وحتى وقت خطفه. شهيد الدين ثم الوطن والواجب المقدم (مسعود)، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته... كم تمنيتُ أن نشهد تلك اللحظة معًا... لحظة النطق بالحكم. ها هي ذي زوجته (سمر) مع بنتيه الصغيرتين سعيدات بتلك الأخبار التي تبشر لموت الظالمين... ذاك كان عقاب الدنيا فقط وعذاب الآخرة أشقُّ وأخزى إن لم يتوبوا.

«عمل رائع سيادة النقيب!»

قال اللواء (فهد) وهو يصافحني بحرارة، ليتبعه مجموعة من عساكر القسم الذين اعتدتُ عليهم وعايشتهم... لأجيب:

«تلك ليست جهودي وحدي يا سيادة اللواء، فدون توجيهاتكم الكريمة ومساعدة كل فرد أمن بعد الله لما حققنا كل ذلك... بمن فيهم المقدم (مسعود) رحمه الله»

دعوا له بالرحمة وقد كان القاضي قد رحل وفضّ الجلسة بحلول ذلك الوقت، وقاد رجال الأمن المتهمين لزنازينهم قبل أن يُنفذ فيهم القصاص... وغادر العديد من العائلات والفتيات... وقمنا من أماكننا لأحيي كل فردٍ شارك في هذه القضية. حياني أحد عساكر القسم وقد ذكَّرني بموقف مضحك حين كانت تلك القطة السوداء تلاحقني وكان هو الذي منعها... فقلتُ له مُمازحًا:

«تلك القطة السوداء أيضًا لعبت دورًا كبيرًا في التحقيق»

قطَّبَ حاجبيه مُتسائِلًا:

«أي قطة سوداء، سيدي؟»

قلتُ له مُحاوِلًا إنعاش ذاكرته:

«تلك القطة السوداء التي لاحقتني عند دخولي للقسم وأصرّت حتى منعتَها أنت، تلك الليلة حين ذهبتُ بعدها لورشة (أبو خطاب) ورأيتُ الخدوش التي تركها (مسعود) على القطة البيضاء»

أطال النظر في الأرض وهو يحاول التذكر، قبل أن ينطق:

«اعذرني سيدي فأنا لا أتذكَّر هذا الموقف أبدًا، وأتذكَّر ذلك اليوم جيِّدًا فقد أتيتَ للقسم ثم غادرتَ سريعًا ووجدت القطة البيضاء في قبو ورشة (أبو خطاب)... لكني لا أتذكر أبدًا وجود قطة سوداء رافقتك قبلها»

أخبرتُهُ بأني كنت أمازحه وضحكت بتوتر، لكني كذبت... أنا كنتُ جادًّا في حديثي ذاك لكني لم أرد أن أبدو مجنونًا أمامه. هل كنتُ أرى تلك القطة

وحدي؟ اللعنة! أكانت تلك القطة جنيًّا يريدُ إخباري أن أتفقَّد القطة الأخرى البيضاء؟! أو أنها رسالة من الله سخَّرها لي؟ لولا ملاحقة القطة السوداء لما تفقَّدتُ القطة البيضاء، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

«(الشعيبة) تتذكر الطائفة التي عاثت في أرضها فسادًا وتدميرًا، لتكونَ شاهدةً عليهم بشطآنها وطرقاتها وأحيائها قبل الجميع. تتذكر التضحية العظيمة التي قدمها ابنها الشهيد (مسعود)، واهبًا حياته فداءً لها ولتراب وطنها»

- (ص. م.)

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق:

▪ mohamed ▪

▪ علي ▪

▪ قمر ▪

▪ بيان ▪

▪ نرجس▪

ترتيب وتصميم:

▪ أشرف غالب ▪

t.me/twinkling4

كيف ترتبط كل تلك الأشياء الغريبة المتناقضة ببعضها البعض؟ منتجع مهجور داخله مسرح جديد! أهي إحدى تلك الطوائف العابدة للشيطان، بطقوسها الغريبة؟ غزا مخيلتي رأس الماعز الذي يقطر دمًا، لا أعتقد أني سأستطيع محوه من ذاكرتي ما حييت... ما الذي يفعلونه برأس عنز بحق القدير؟! لا يوجد تفسير منطقي سوى أنهم بالفعل طائفة شيطانية أو دينية وذاك أحد طقوسهم المختلة!

عثمان عابد

romiantoma romiantoma othmanauthor

ضياء
t.me/twinkling4

9 786038 437360

adabarabic/
services_book
servicesbook1
www.adab-book.com